التربية بالقُدوة: أبو عبيدة بن الجراح أنموذجاً

ناصر محمد ناصر الشمراني

وزارة التربية والتعليم- المملكة العربية السعودية
Bareed123bareed@gmail.com

المخلص:

هدفت الدراسة الحالية إلى التعرف على مفهوم القدوة في الإسلام، والكشف عن معالم القدوة في سيرة أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه، والتوصل إلى ممارسات تطبيقية تربوية يستنير بها المعلم من خلال معالم القدوة الماثلة في سيرة أبي عبيدة بن الجراح رضي الله تعالى عنه. وقد استخدم الباحث للوصول إلى نتائج البحث المنهج الوصفي، بأسلوبه التحليلي. وقد أظهرت الدراسة النتائج التالية:

١. أن القدوة هي: ذلك المعلم والمربي المسلم -أياً كان موقعه واستقامته- الذي يحتذى به في سَمِّته وقوله وفعله حياً وميتاً، للاسترشاد به.
٢. لا يشترط أن تكون القدوات كلها حسنة، وأن الحيوان قد يكون أهدى من البشر في ذلك، وأن الميزان والمحك الحقيقي هو الشرع المطهر.
٣. أن القدوة الحسنة في الإسلام تعني كل من تمثل خيراً فوافقه من بعده، وأن القدوة السيئة كل من تمثل سوءاً فوافقه من بعده، ولا تخرج أقسام القدوات في مجملها عن هذين القسمين
٤. أن للقدوة الحسنة آثار إيجابية، منها: الأجر العظيم، والثواب الجزيل. توفير الجهد التربوي. الانتفاع بها بإيجاد بيئة تربوية راشدة. اكتساب المقتدي قوة نفسية مؤثرة بحسب حاله. تجعل المسلم على اتصال دائم بالخالق. تُنمي الفضائل والأخلاق الحميدة في نفوس الأفراد. تنشئ التوازن والاعتدال في سلوك الفرد وشعوره. أنها تُبصر بالعيوب وترشد إلى الأسلوب الأمثل.
٥. أن للقدوة السيئة آثار سلبية، منها: الإثم العظيم، وهو على القدوة السيئة أشد من المقتدي. فساد المقتدي بفساد قدوته، وقد مر ذكر بعض الشواهد في ذلك كفساد قوم فرعون بفساد فرعون. الركون إلى الدنيا وكثرة الانشغال بها، والتكاسل عن التربية والدعوة. التفریط في الطاعات، والتساهل والتقصير فيها. الهزلية وعدم الجدية. هدر الأوقات.
٦. من صفات القدوة الحسنة للمعلم القدوة: الإخلاص، والصدق، والتواضع، والرفق والرحمة، والعدل، والعلم الشرعي، والصبر.
٧. برزت في سيرة أبي عبيدة صفات عظيمة منها: خدمة الإسلام، وعلم وفقه، وقوة وأمانة، وعدل، وزهد، وتواضع، وبراءة صدر من الأحقاد، وحلم، وكل خلق حسن وجد فيه، وعبادة: كجهاده، وصلاته، وصيامه، وتقواه، وصدقته.
٨. استنبطت من سيرة أبي عبيدة رضي الله عنه: صفات المعلم القدوة في مجال العبادات، منها: الدعوة إلى الله تعالى/الهجرة بالدين/الجهاد/نشر العلم وبذله/التقوى/الصلاة/الصيام/الصدقة. وأيضاً صفاته في مجال المعاملات، منها: هيئة المعلم/التماسك الأسري/حسن الخلق/القوة والأمانة.

الكلمات المفتاحية: القدوة، أبو عبيدة عامر بن الجراح، التربية.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، لا إله إلا الله يفعل ما يريد، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، محمد وعلى آله وصحبه الغر الميامين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فإن الله تعالى خلق الخلق ليعبده، وأسبغ عليهم نعمه ظاهرة وباطنة ليشكروه، وأرسل فيهم رسله عليهم الصلاة والسلام ليوحده، وختمهم برسوله الخاتم صلى الله عليه وسلم ليطيعوه، فمن أطاعه فقد أفلح، ومن عصاه فقد ضل وغوى، وجعل له من أهل الأرض خيرهم لينصروه -وهم صحابته رضي الله تعالى عنهم-، ومدحهم في كتابه العزيز في مواضع شتى، ومن ذلك ما قاله سبحانه: (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكْعًا سَجِدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيُغَيِّظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا) [الفتح: ٢٩]. وقال سبحانه: (لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا)

[الفتح: ١٨]. قال ابن كثير (٢٠٠) " فإن هذه الأمة معظمة في الكتب المتقدمة، وأعظمها وأفضلها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم" (ج ٤، ص ١٣٥). وغيرهما من الآيات التي تبين فضلهم وثناء الله تعالى عليهم.

وجعل لأولئك العدول رضي الله عنهم قصب السبق في النصرة والخيرية، فعن عمران بن حصين رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم" [البخاري: ٣٤٥٠]. وما كان لهم من الفضل والخيرية فهو يرجع لأسباب، منها:

١. عدالتهم وطهارتهم الثابتان بالكتاب والسنة.
٢. سبقهم في التصديق والنصرة والوفاء.
٣. قربهم ومعاشتهم للوحي والتنزيل.
٤. ثباتهم على الدين القويم رغم الضعف والقلة إلى أن وصلوا للعزة والمنعة، حتى قضوا نحبتهم.
٥. ورعهم وتقواهم وتواضعهم وزهدهم في الدنيا.
٦. وصول التشريع الإسلامي بكافة أحكامه الدينية والدنيوية عن طريقهم فيما نقلوه قولاً وعملاً.
٧. نقاء أفهامهم وسلامة سليقتهم العربية، وبُعدهم عن اللوث الذي طرأ فيمن بعدهم.
٨. انعزالهم عن الفتن حينما طرأت بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، وبعدهم عن مواطن الزيف، وصلابة مواقفهم في الحق، فلا تجدهم مدهنين ولا مزايدين ولا متخاذلين.

وغيرها من الأسباب المؤيدة بنصوص الوحي من الكتاب والسنة والتي لا تدع مجالاً للشك في أخلاقهم وعدالتهم، فضلاً عن الفدح فيما يقولون ويفعلون، ولذلك كانت محبتهم واعتقاد فضيلتهم واقتفاء آثارهم من الإيمان، وعكس ذلك يعتبر من الزيف والشطط، بل قد يصل الأمر إلى الابتداء والكفر - عياداً بالله تعالى - قال ابن كثير (٢٠٠) - عند تفسير قوله تعالى: (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ) [الفتح: ٢٩] - "ومن هذه الآية انتزع الإمام مالك - رحمه الله تعالى - بتكفير الروافض الذين يبغضون الصحابة، قال: لأنهم يغيظونهم، ومن غاظ الصحابة فهو كافر لهذه الآية. ووافقهم طائفة من العلماء على ذلك" (ج ٤، ص ١٣٥).

وعن عبدالله بن مغفل المزني قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " الله الله في أصحابي، الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضاً بعدي، فمن أحبهم فبحي أحبهم، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم، ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه" [الترمذي: ٣٨٦٢].

وقد حذر ابن الأثير (د.ت) من التعرض للصحابة رضي الله عنهم بأنه هدم للكتاب والسنة والدين؛ فإن الإسلام قد ابتلي حديثاً بمثل ما ابتلي به قديماً من الطعن في الصحابة رضي الله عنهم دون استحياء، والطنع فيهم وهم حملة الشريعة دون حجة، تارة بسوء الحفظ، وتارة بعدم التثبت في نقلهم، وتارة في عدالتهم، ومن هنا كان توثيقهم واعتبار عدالتهم وفضلهم دفاعاً عن الكتاب والسنة (ج ١، ص ١٨-١٩).

فلا يتسع لمن عرف ما سبق بيانه وعاه أن يخطر في باله خطرة، أو أن ينزع الشيطان في صدره نزعة، أن يعتقد أو يعمل بخلافه سلامة لدينه ورفعة لدينيه.

ولما عرفت عدالتهم وطهارتهم وفضيلتهم وسبق درجتهم وخيريتهم على من بعدهم، وجبت محبتهم، فإن حصلت محبتهم، لزم اتباعهم ولزوم مسلكتهم حتى لقاء الله تعالى.

وكيف لمستبصر أن يسلك مسلكتهم، ويقتفي آثارهم دون أن يدركها؟ ففاقد الشيء - كما قيل - لا يعطيه.

مشكلة البحث:

إن الأمة اليوم في أمس الحاجة للرجوع لمنازل الهدى ومشاعل الهداية في خضم ما يتجاذبها يمنة ويسرة، فتن تموج، وأعداء تترصص، وأكلاء تتداعى، ولا مناص من ذلك إلا لزوم المنهج القويم الذي لا يدرك إلا بالرجوع للقنودات المعتبرين شرعاً ومنهاجاً، وهم محمد صلى الله عليه وسلم، وصحابته رضي الله تعالى عنهم من بعده، ومن اتبعهم بإحسان، قال تعالى: (أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدِ) [الأنعام: ٩٠]. قال ابن كثير (٢٠٠) "وإذا كان هذا أمر للرسول صلى الله عليه وسلم فأمرته تبع له في ذلك" (ج ٦، ص ١٠٩).

أما عن أفضل الصحابة رضي الله عنهم أجمعين - في عقيدة أهل السنة الجماعة - وهو ما ذكره ابن الأثير (د.ت) وهم الخلفاء الأربعة: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، ثم الستة باقي العشرة المبشرين بالجنة: طلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة بن الجراح، ثم البدريون، ثم من شهد أحداً، ثم أصحاب الشجرة، ثم باقي الصحابة رضي الله عنهم أجمعين (ج ١، ص ٢٥-٢٦).

وبما أنهم أفضل الصحابة رضي الله عنهم أجمعين، وجب على كل مسلم أن يسير سبيلهم، ويقتدي بهم في عباداته ومعاملاته حتى تسلم له دنياه، وحتى يكون في زميرهم في أخره، ويخص الباحث في ذلك المعلم المسلم الذي يمر بأزمة القدوة في سبيله وعمله، بما يتوجب عليه أن يتخذ قدوة تهيئه إلى صراط مستقيم، ولا أصلح له في ذلك إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته رضي الله عنهم من بعده. وإن لم يتم استدعاء آثارهم، والسير على

منهاجهم، فلا شك أن أزمة القدوة الحسنة ستفاقم؛ مما يؤدي إلى ظهور مؤشر خطير في أزمة فقد القدوة الحسنة التي تقود إلى فقد هوية الناشئ المسلم والتي تعول عليه الأمة الإسلامية حاضراً ومستقبلاً، وبالتالي قد يبحث عن بدائل وفق معطيات دنيوية وشهوات تتلقّفه وتكون وخيمة عليه وعلى مجتمعه ووطنه وأمتة في الدنيا وفي الآخرة.

وممّن ذكر- فيمن سبق بأفاضل الصحابة رضي الله عنهم- أبو عبيدة بن الجراح رضي الله تعالى عنه، والذي كان في سيرته نبزاً يقتضى، ومنهاجاً يحتذى. وبالتالي فإن مشكلة البحث تتلخص في الإجابة على الأسئلة التالية:

١. ما مفهوم القدوة في الإسلام؟
٢. ما معالم القدوة في سيرة أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه؟
٣. ما هي التطبيقات التربوية التي يستنير بها المعلم بمعالم القدوة في سيرة أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه؟

أهمية البحث:

وتظهر أهمية هذا البحث في جانبين: جانب علمي نظري، وجانب عملي تطبيقي؛ فأهمية هذا البحث نظرياً: في كونه يأتي مكملًا ومُسهِماً في جهود من سبق في البحث والتأليف العلمي؛ فكل بحث علمي يبدأ من حيث انتهى الآخرون، وبالتالي فهو يسلط الضوء للمهتمين من القراء والدارسين على موضوع من أهم الموضوعات لتنمية الفكر التربوي الإسلامي، وطرح أفكار تثير المعرفة لدى كل مهتم بموضوع القدوة الذي ينقصه -بحسب رأي الباحث- المزيد من الغور والسّبر في سير أعلام القدوة لدى كل مسلم، في ظل ضحالة ما يطرح وما يُدار ويُحاك، وفي ظل أزمة الجهل بمن سبق من القدوات الأتقياء، والذي لا يُدرك منها عند الكثير ممّن ينتسب للإسلام إلا اللّمَم، والله المستعان. ثم إن القدوة التربوية الصالحة ضرب من ضروب الدعوة إلى الله تعالى بأسلوب غير مباشر-القدوة الصامتة- في ملاحظة المقتدي لسلوك المقتدى به، وبالتالي كان لزاماً على المعلم المسلم القدوة أن يعرف سمات القدوة الحقّة التي تتوجب في حقّه التزاماً تجاه النشء قبل أن ينخرط في مهاقه الموكلة إليه وظيفياً.

وأهمية هذا البحث عملياً: في كونه موجّهاً إلى كلّ من وليّ من أمر المسلمين شيئاً، سواءً على مستوى أصحاب القرار في وزارة التعليم، أو من هم في المكاتب التابعة لها، أو للمعلمين الأفاضل فيما يناط بهم من تربية أبناء المسلمين، أو لكلّ مُربٍّ قدير في أيّ مكان كان، من خلال تمثّلهم قولاً وعملاً لما يقرؤونه ويعلمونه أمام غيرهم- سيّما النشء- حتى يصلح المجتمع وتعود الأمة كما كانت عزيزة فتية بعيدة عن مهاوي الردى ومعاول الهدم. قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ (٢) كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ (٣) [الصف]).

حدود البحث:

وقد تحدّد هذا البحث في حدوده الموضوعية والزمانية، كما يلي:

- الحدود الموضوعية: حيث اقتصر هذا البحث على بيان مفهوم القدوة في الإسلام بمعظم جوانبها، واتخذ من أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنها أنموذجاً في ذلك من خلال بيان معالم القدوة في سيرته الواردة في كتب السّير، والتطبيقات التربوية التي يتوخّى من المعلم المسلم القدوة أن يتمثّلها.
- الحدود الزمانية: تُقدّر هذا البحث في الفصل الدراسي الثاني من العام الدراسي ١٤٣٧-١٤٣٨هـ.

منهج البحث:

وقد اعتمد البحث الحالي على المنهج الوصفي، والذي يجده الباحث منهجاً مناسباً للبحث الحالي لوصف مفهوم التربية بالقدوة من منظور إسلامي تربوي، وكذا وصف معالم القدوة في سيرة أبي عبيدة بن الجراح رضي الله تعالى عنه، وتحليلها كيفياً، ومحاولة ربطها بواقع المعلم و المربي المسلم كما ينبغي أن يكون عليه مقتدياً في نفسه، وقدوةً وسطيّة لمن هم تحت يده في عباداته ومعاملاته.

الدراسات السابقة:

بحسب جهد الباحث وعلمه، فإن الدراسات السابقة حول موضوع القدوة شحيحة في مظانّها -خاصة الدراسات العربية- وتعذّر الوصول إلى بعضها، ومن حيث ارتباطها ارتباطاً مباشراً بموضوع الدراسة الحالية، بالرغم من استفاضة الحديث عن القدوة في المؤلفات التجارية، والكتب التراثية -والتي لا تنتهج الطريقة العلمية المتبعة- وكذلك بُعد الدراسات الأجنبية عن الطرح الإسلاميّ الأصيل، فقد اقتصر الباحث على ما أمكن الحصول عليه من دراسات علمية عربية التي خرجت بطابع إسلامي، وعرضها هنا كان من الأقدم إلى الأحدث، وهي كما يلي:

- دراسة القرني (١٤٢٤-٢٠٠٤) والتي كانت بعنوان "أثر انحراف القدوة على السلوك الانحرافي لدى المراهقات دراسة وصفية على طالبات المرحلة المتوسطة بمدينة مكة المكرمة"، وقد هدفت تلك الدراسة إلى الكشف عن أثر القدوة على السلوك الانحرافي لدى المراهقات. وهي دراسة وصفية ميدانية، وقد طُبِّقَت على عَيِّنة مكونة من (٣١٠) طالبات. وتوصلت إلى نتائج منها:
 ١. وجود علاقة ارتباطية إيجابية بين انحراف القدوة وبين الانحراف السلوكي لعَيِّنة الدراسة.
 ٢. يمكن التنبؤ باحتمالية ظهور الانحراف السلوكي لدى المراهقة من خلال انحراف القدوة المتمثل في عدم الالتزام الديني وعدم تحمُّل المسؤولية.
- دراسة يوسف (٢٠٠٧) والتي كانت بعنوان "المنهج التربوي القدوة"، وقد هدفت تلك الدراسة إلى تسليط الضوء على حقيقة المنهج الإسلامي في تربية الأطفال عبر الدراسة العلمية وتأسيس المنهج التربوي للأطفال في الإسلام ومساعدة صُنَّاع المناهج في وضع تصوُّر ينتهج القدوة الإسلامية في تربية وتعليم الأطفال في المرحلة الأساسية للتعليم. وهي دراسة وصفية. وقد توصلت إلى نتائج منها:
 ١. الطفل الذي ينشأ بين أبوين متنافرين يعقِد نفسياً.
 ٢. نبه القرآن الكريم إلى أن الصفات الوراثية تنتقل من الآباء للأبناء فوجب حُسْن الاختيار ليكون الولد أخصب عقلاً وأقوى جسماً لقوله تعالى: (إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيراً) [الإنسان:٢٠].
- دراسة أبو نمر (٢٠٠٧-٢٠٠٨) والتي هي بعنوان "مواصفات المعلم القدوة في ضوء التربية الإسلامية ومدى تمثيلها لدى أعضاء هيئة التدريس في كليات التربية من وجهة نظر طلبتهم"، وقد هدفت إلى معرفة درجة تمثُّل المعلمين بمواصفات المعلم القدوة في ضوء التربية الإسلامية ومدى تمثيلها لدى محاضري الجامعات الإسلامية في الأقصى والأزهر في غزة من وجهة نظر طلبتهم، وهي دراسة وصفية ميدانية طُبِّقَت على عَيِّنة طلابية قوامها (٣٤٢) طالباً، وتوصلت إلى نتائج منها:
 ١. تمثل المعلم القدوة لمجال المواصفات الإيمانية مع طلبته بنسبة ٨٥%، تلتها المواصفات الشخصية بنسبة ٨٣%، تلتها المواصفات المهنية بنسبة ٨٢%.
 ٢. توجد فروق ذات دلالة إحصائية في تمثُّل أعضاء هيئة التدريس للمعلم القدوة من وجهة نظر طلبتهم تعزى لمتغير الجامعة لصالح الجامعة الإسلامية في غزة.
- دراسة الجبيمان (١٤٢٨-١٤٢٩) والتي كانت بعنوان "أهمية التربية بالقدوة كما تراها معلمات العلوم الشرعية بالمرحلة المتوسطة في مدينة الرياض"، وقد هدفت تلك الدراسة إلى الكشف عن أهم معالم التربية بالقدوة كما تراها معلمات العلوم الشرعية بالمرحلة المتوسطة والتعرف على الآثار الإيجابية المتوقعة للتربية بالقدوة من وجهة نظرهنّ وواقع إسهاماتهنّ في تنمية القدوة لدى الطالبات وأهم المعوقات التي تراها معلمات العلوم الشرعية بالمرحلة المتوسطة تحُدُّ من اكتسابهنّ للقدوة الحسنة. وهي دراسة ميدانية استخدمت المنهج الوصفي بأسلوبه المسحي، وقد طُبِّقَت على عينة مكونة من (٢٧٧) معلّمة. وقد توصلت إلى نتائج منها:
 ١. أن معلّمت العلوم الشرعية موافقات على:
 - أ- وجود معالم للتربية بالقدوة.
 - ب- وجود آثار إيجابية متوقعة للتربية بالقدوة.
 - ج- وجود معوقات تحُدُّ من اكتساب الطالبات للقدوة الحسنة بدرجة عالية.
 ٢. معلّمت العلوم الشرعية يُسَهِّن بدرجة عالية في تنمية القدوة لدى الطالبات.
- دراسة الرواحية (٢٠٠٩) والتي كانت بعنوان "صفات الشخصية المسلمة القدوة ونماذجها في كتب التربية الإسلامية للصفوف (١٠-٥) بسلطنة عُمان"، حيث هدفت إلى تحديد صفات الشخصية المسلمة القدوة الواجب توافرها في كتب التربية الإسلامية للصفوف (١٠-٥) وتصنيفها ضمن المجالات المناسبة لها والتعرف على نماذج القدوة التي شكلت فيها هذه الصفات. وهي دراسة وصفية اتبعت أسلوب تحليل المحتوى، وتوصلت إلى نتائج منها:
 ١. بلغت صفات الشخصية المسلمة القدوة الواجب توافرها في كتب التربية الإسلامية للصفوف (١٠-٥) ٧٥ صفة في العقيدة والعبادات والمعاملات والأخلاق.
 ٢. أتى الرسول صلى الله عليه وسلم في المرتبة الأولى كنموذج للقدوات في الكتب عَيِّنة الدراسة.
- دراسة زهد (١٤٣١-٢٠١٠) والتي كانت بعنوان "القدوة الصالحة وأثرها على الفرد والمجتمع"، حيث هدفت تلك الدراسة إلى بيان الحاجة إلى الأسوة الحسنة في هذه الفترة العصيبة التي تمر بها القضية الفلسطينية لتحقيق النموذج الصحيح لمنهج رب العالمين لتحقيق النصر على الأعداء. وهي دراسة وصفية نظرية، وقد توصلت إلى نتائج منها:
 ١. التربية بالقدوة من أفضل الأساليب التربوية قديماً وحديثاً.
 ٢. القدوة الصالحة تعمل على تهذيب الأفراد وإصلاحهم، وتحقق ترابط المجتمع المسلم.

٣. المصادر الأساسية للقُدوة هي: الأسرة، والأخلاء، ورجال الوعظ، والمسؤولين، والحكام.
٤. تعمل القُدوة الحسنة على سرعة الامتثال والتطبيق لكل ما هو مفيد للمجتمع.
- دراسة التكروني (١٤٣٢-٢٠١٢) والتي كانت بعنوان "إسهام المرشد الطلابي في تنمية شخصية تلميذ المرحلة الابتدائية من منظور التربية الإسلامية"، وقد هدفت تلك الدراسة إلى التعرف على إسهامات المرشد الطلابي في تنمية شخصية تلميذ المرحلة الابتدائية من منظور التربية الإسلامية. وهي دراسة وصفية نظرية، وقد توصلت إلى نتائج منها:
 ١. هناك أساليب عديدة يسهم بها المرشد الطلابي في تنمية شخصية التلميذ، ومنها أسلوب القُدوة الصالحة.
 ٢. ضرورة التحزّر من التبعية الفكرية للثقافة الغربية.

التعليق حول الدراسات السابقة:

مما سبق عرضه من دراسات سابقة حول موضوع القُدوة، فإن المتأمل في تلك الدراسات يلحظ توافقاً فيما بينها على أهمية القُدوة في حياة المسلم وخاصة في ميدان التعليم وأن النّشء يتأثر بقُدواته أياً كانت، وهو ما تناولته تلك الدراسات في الجانب التعليمي عدا دراسة زهد (١٤٣١-٢٠١٠) التي كانت تتحدث عن القُدوة في حياة الفرد وأثرها في المجتمع بشكل عام، ولا تركّز على المجال التعليمي فقط، مع أن كل تلك الدراسات تناولت جانب القُدوة من منظور تربوي إسلامي، وكذلك اتفقت تلك الدراسات على اتباع المنهج الوصفي مع وجود اختلاف في أساليبها بين ميدانية مسحية، ونظرية استنباطية وتحليلية؛ فكانت دراسة القرني (١٤٢٤-٢٠٠٤)، ودراسة أبو نمر (٢٠٠٧-٢٠٠٨)، ودراسة الجهيمان (١٤٢٨-١٤٢٩) ميدانية، بينما كانت بقية الدراسات نظرية، وكانت الدراسات المحلية منها أربع دراسات وهي دراسة القرني (١٤٢٤-٢٠٠٤)، ودراسة الجهيمان (١٤٢٨-١٤٢٩)، ودراسة زهد (١٤٣١-٢٠١٠)، ودراسة التكروني (١٤٣٢-٢٠١٢)، وكانت هناك دراستان عربيتان إحداهما في فلسطين وهي دراسة أبو نمر (٢٠٠٧-٢٠٠٨) والأخرى في عُمان وهي دراسة الرواحية (٢٠٠٩)، والدراسة الأخيرة كانت إفريقية وهي دراسة يوسف (٢٠٠٧). ومن ناحية صفات المسلم القُدوة فقد تناولتها دراستان فقط هما دراسة أبونمر (٢٠٠٧-٢٠٠٨) ودراسة الرواحية (٢٠٠٩). كما تناولت بعض تلك الدراسات أثر القُدوة إيجاباً وسلباً كما في دراسة القرني (١٤٢٤-٢٠٠٤) ودراسة أبو نمر (٢٠٠٧-٢٠٠٨) ودراسة الجهيمان (١٤٢٨-١٤٢٩) ودراسة زهد (١٤٣١-٢٠١٠) ودراسة التكروني (١٤٣٢-٢٠١٢). أما عن نماذج القُدوة فقد أتت في دراسة وحيدة وهي دراسة الرواحية (٢٠٠٩) من حيث درجة وجودها في كتب التربية الإسلامية للصفوف التعليمية الأساسية، ولم تنطبق بقية الدراسات لنماذج في القُدوة لغرض التحليل والتطبيق التربوي.

وبالتالي أتى هذا البحث متفقاً مع الدراسات السابقة من حيث المنهج البحثي المتبع وهو المنهج الوصفي، ومن حيث التأكيد على أهمية وجود القُدوة المسلمة الحسنة في حياة الفرد المسلم -سيّما المعلم والمتعلم-، كما اتفق مع دراسة أبو نمر (٢٠٠٧-٢٠٠٨) ودراسة الرواحية (٢٠٠٩)، من حيث مواصفات المسلم القُدوة، كما اتفق مع دراسة القرني (١٤٢٤-٢٠٠٤) ودراسة أبو نمر (٢٠٠٧-٢٠٠٨) ودراسة الجهيمان (١٤٢٨-١٤٢٩) ودراسة زهد (١٤٣١-٢٠١٠) ودراسة التكروني (١٤٣٢-٢٠١٢) على وجود التأثير والتأثير للقُدوة على الفرد المسلم.

ولكن انفرد هذا البحث بأمر، وهي كما يلي:

١. حداثة هذا البحث في طرحه -وليس موضوعه- فهو مكمل ومؤكّد لما سبق عرضه وتناوله؛ فالمعرفة تراكمية تبدأ من حيث انتهى الآخرون.
٢. يحاول هذا البحث أن يجمع المفترق فيما سبق طرحه في تلك الدراسات خاصة في جانب الصفات والمعالم، والتأثير والتأثير للقُدوة في حياة المسلم بشكل عام، والمعلم والمتعلم -المربي والمترّي- بوجه خاص.
٣. يتناول هذا البحث أنموذجاً في القُدوة الحسنة مُستقى من سيرة أحد الصحابة الكرام رضي الله عنهم أجمعين.
٤. يعرض هذا البحث بعض التطبيقات التربوية لمعالم القُدوة الحسنة في شخصية المعلم من خلال استقائها من سيرة الأنموذج التي تسوّى عرضها في طيّات البحث الحالي. والله وحده خير مسؤول وخير موفق وهو المستعان.

مفهوم القُدوة في الإسلام:

يُقال: عمل رجل في ألف رجل، خير من قول ألف رجل في رجل. بمعنى أنّ القُدوة الحسنة المتحلية بالفضائل العالية تعطي الآخرين قناعة بأن بلوغ هذه الفضائل أمراً ممكناً؛ فشاهد الحال أقوى من شاهد المقال.

وبالتالي سيتناول هذا الفصل مفهوم القُدوة في الإسلام من حيث تعريفاتها، ونشأتها التاريخية، وأقسامها، وأثارها مدعّمة بالأدلة من الكتاب والسنة، وصفات المعلم والمربي المسلم القُدوة.

• تعريفات القُدوة ومناقشتها:

سبق تعريف القُدوة في مصطلحات البحث؛ إلا أن الباحث هنا أراد أن يتناوله مع تعريفات أخرى بشيء من التعليق والمناقشة المقتضبة؛ زيادة في المعرفة، وتوسيعاً في مدى إدراك طالب المعرفة، وتكوين تصوّر كافٍ عن كُنْهِ القُدوة -خاصة الحسنة-، ومن تلك التعريفات الاصطلاحية ما جمعه الوادعي (د.ت):

١. القدوة: تعني نماذج بشرية متكاملة تقدم الأسلوب الواقعي للحياة في مجالاتها المختلفة السلوكية والانفعالية والعلمية والاجتماعية.
 ٢. القدوة في الدعوة: الداعية الذي جمع إلى سلامة معتقده وقوة إيمانه حسن خلقه، وعلو همته، وجمع إلى سعة علمه حسن وفقه العمل به والدعوة إليه، وحيداً على ذلك كله.
 ٣. القدوة في التربية: هو الشخص المربي الذي يدعو إلى أنواع الفضائل والكمالات السلوكية، والأفكار السليمة الصحيحة (ص ٨). ويضاف إلى تلك التعريفات:
 ٤. تعريف الشنقيطي (١٩٨٠) "والأسوة بالقدوة، وهي إتباع الغير على الحالة التي يكون عليها حسنة أو قبيحة. عمل بها واتصف بها من قبل" (ج ٨، ص ١٣٨).
- ويرى الباحث: أن التعريف الأول هول تعريف عام للقدوة يشمل القدوة المسلم وغير المسلم، ولكنه قدوة حسنة في أمور دنيوية مادية فقط. أما التعريف الثاني فهو يبين صفات الداعية إلى الله تعالى بصفات يلتزمها ويتمثلها. والتعريف الثالث وهو تعريف تربوي للقدوة الحسنة في كونه قدوة ماثلة أمامه فقط دون من مضى من قدوات سطرها التاريخ. والتعريف الرابع يبين معنى القدوة كمدلول أقرب ما يكون لغوياً منه إلى التعريف الاصطلاحي، وبالتالي يرى الباحث -من خلال التأمل فيما سبق من تعريفات- بأن القدوة التي تُراد وتقصد هي: ذلك المعلم والمربي المسلم -أيّاً كان موقعه واستقامته- الذي يحتذى به في سَمِّهِ وقوله وفعله حياً وميتاً، للاستِرشاد به في عباداته أو معاملاته أو بهما معاً؛ فالقدوة أساسها التقليد والمحاكاة، ثم تتطور لتصبح اقتداءً دافعاً المحبة والقناعة.

• معالم القدوة في سيرة أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه:

لا يمكن أن يكون المسلم ناجحاً في حياته، طائعاً لربه تعالى، خادماً لدينه ووطنه، إلا بوجود قدوة له ماثلة في مخيلته، تدفعه للنجاح والتميز، وتردعه عن مساوئ القول والعمل. وإن كان الأمر كذلك؛ فللمسلم أسوة بقرون خلت، وخُلد ذكرها في كتاب رب العالمين، وفي سير الصالحين، من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وآخرهم وأفضلهم محمدٌ صلى الله عليه وسلم، وكذا صحابته رضي الله عنهم أجمعين خير القرون على الإطلاق، فهم أئمةٌ وقدواتٌ صالحون -ومن لم يعجبه فلا يضر إلا نفسه- قال تعالى: (وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ) [السجدة: ٢٤]. قال ابن باز (١٤١٨-١٩٩٧) -معلقاً حول الآية السابقة- "صدق هذا في أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم، وفي من سار على سبيلهم، صاروا أئمةً وهداةً ودعاةً للحق، وأعلاماً يقتدى بهم، بسبب صبرهم وإيمانهم، فإن بالصبر واليقين ثُنال الإمامة في الدين، فأصحاب الرسول عليه الصلاة والسلام وأتباعه بإحسان إلى يومنا هذا هم الأئمة، وهم الهداة، وهم القادة في سبيل الحق" (ص ١٠).

وفي هذا الفصل يستعرض الباحث سيرة صحابي عظيم، رسخ إيمانه، وبرز علمه وفضله وجهاده، وصَدَّقَ فِعْلُهُ قَوْلُهُ؛ فظهرت فيه معالم القدوة الحقّة، حتى أضحت سيرته نبراساً لكل قدوة حسنة، ولكل مسلم مقتدي، ولكل معلّم متبِعٍ مُنتَفِعٍ، ألا وهو الصحابي الجليل أبو عبيدة عامر بن الجراح رضي الله عنه. فمن هو أبو عبيدة؟ وما معالم القدوة الحسنة في سيرته؟

اسمه ونسبه:

هو: عامر بن عبدالله بن الجراح بن هلال بن أهيب بن الحارث بن فهر بن مالك بن النضر بن زيار بن معد بن عدنان القرشيّ الفهرّي المكيّ (الذهبي، ١٤١٧، ج ١، ص ٥).

يلتقي مع النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم في فهر بن مالك، فهو من أشرف الأنساب في قريش (الذهبي، ١٤١٧، ج ١، ص ٦)، وكما هو معلوم في كتب السيّر أنّ عدنان من ولد إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، وإبراهيم عليه السلام هو أبو الأنبياء؛ فأبو عبيدة رضي الله تعالى عنه أتى في سلالة شرفها الله تعالى بالنبوّة والرسالة، واختصّه الله تعالى بشرف الصُّحبة والسِّيق إليها، فزاده سبحانه شرفاً إلى شرف، وكتب له الجنة -عاجل بشاره- على لسان النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم.

صِفَتُهُ:

قال الذهبي (١٤١٧) في وصفه رضي الله تعالى عنه: "كان رجلاً نحيفاً، معزوق الوجه، خفيف اللحية، طوالاً، أحنّ، أثَرَمَ الثَّيِّبَيْنِ... وكان يَخْضِبُ بالحناء والكثم، وكان له عقيصتان" (ج ١، ص ٢٣، ٧٠). وقال ابن حجر (د.ت): "وكان يخضب بالحناء والكثم" (ج ٢، ص ١٣). ويظهر للباحث في ذلك أنه كان يهتم بمظهره وهيأته في أن يكونا لائقين حسب إمكانية حاله وزمانه؛ فالله جميل يحب الجمال، فعلى المعلم المسلم أن يزَيِّن مظهره كما يزَيِّن سيرته وعمله.

حياته وأسْرته:

قال شُرّاب (١٤١٨-١٩٩٨) "وقد عاش أبو عبيدة أحداث حياته في مكة والمدينة والشام" (ص ٢٣). وذكر أن له ولدين يزيد وعمير، وزوجته تُحَيْفَةُ، وقيل هند بنت جابر بن وهب، وأمّه أميمة بنت غرم بن جابر، وقيل أميمة بنت عثمان، قيل أنها أدركت الإسلام وأسلمت، أما والده فقد قتل يوم بدر وقيل يوم أحد، وقيل لم يقتله ومات قبل الإسلام (ص ٢٨٣-٢٨٤). و ذكر أنه قد بدأ حياته في مكة يحفر القبور لأهلها، ولما انتقل إلى المدينة كان هناك

رجلان يحفران القبور، أبو عبيدة رضي الله تعالى عنه يحفر للمهاجرين، وأبو طلحة رضي الله تعالى عنه يحفر للأَنْصار ويُجِد لهم (ص ٢٧٩). ثم اشتغل بقيادة جيوش المسلمين للجهاد حتى توفي في طاعون عمواس، ودفن بأرض الشام في منطقة غور الأردن كما سيأتي. ويرى الباحث: أن الحياة متاع صالح، تستدعي العمل الحلال، وطلب الرزق حسب المتاح دون ترفع، واختيار الزوجة الصالحة، وتربية الأولاد وتنشئتهم تنشئة صالحة حتى يتحقق التماسك الأسري المنشود للأسرة المسلمة.

إسلامه:

أسلم ومعه ثلثة من الصحابة رضي الله تعالى عنهم في ساعة واحدة، وذلك قبل دخول النبي صلى الله عليه وسلم إلى دار الأرقم بن أبي الأرقم (الذهبي، ١٤١٧، ج ١، ص ٨-٧). وقد أسلم على يد أبي بكر الصديق رضي الله عنه، قال ابن كثير (١٤١٨-١٩٩٨) "أحد الخمسة الذين أسلموا في يوم واحد. أسلموا على يد الصديق" (ج ١، ص ٧٧-٧٨).

وهذا يتضح أنه من السابقين إلى الإسلام، أما عن ترتيبه في السابقين إلى هذا الدين الحنيف، فقد قال شُرَّاب (١٤١٨-١٩٩٨) "لا يعرف ترتيب أبي عبيدة بين السابقين إلى الإسلام" (ص ٤٧). فإذا عرف العاقلُ الحقَّ وجبَّت مبادرته إليه والسبق نحوه حتى لا يندم على تأخيره وتفريطه، وهو ما كان عليه حال القدوات الصالحين المصلحين.

هجرته:

قال ابن عبد البر (٢٠٠٢-١٤٢٣) "هاجر إلى الحبشة الهجرة الثانية" (ج ٦، ص ٢٠٢). حيث هاجر مع الذين هاجروا إلى أرض الحبشة [فراراً بدينهم من بطش قريش آنذاك] فلم يُطْل فيها اللَّبْثُ" (الذهبي، ١٤١٧، ج ١، ص ٨). وكان عدد من هاجر معهم ثلاثة وثمانون رجلاً، ثم هاجر إلى المدينة، فأخى النبي صلى الله عليه وسلم بينه وبين معاذ بن النعمان رض الله عنهما (ابن هشام، د.ت، ج ١، ص ٣٢٩، ٥٠٥). وقيل: أخى النبي صلى الله عليه وسلم بينه وبين سعد بن معاذ رضي الله عنهما، وقيل: أخى بينه وبين محمد بن مسلمة (ابن كثير، ١٤١٨-١٩٩٨، ج ١٠، ص ٧٨). وبما أن الهجرة هدفها الحفاظ على الدين: كان لزاماً على كل مسلم أن يحافظ على دينه: فيهجر الفتن ومواطنها، والمعاصي وأماكنها، وللأسف فإن من المسلمين من يفعل العكس فيخالط العصاة ويستكين إليهم، ويهرع إلى أصحاب الشهوات فيداهنهم، ويتهافت إلى مواطن الفتن فيلتقي أصحابها ويوافقهم، فدبَّ الشرُّ، ووقع السيف، وكثر الهرج، واختلقت الكلمة، واسودت الأفئدة، فإلى متى؟ فضله:

أحد السابقين الأولين إلى الإسلام، واختاره أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه مرشحاً لخلافة النبي صلى الله عليه وسلم في سقيفة بني ساعدة، وذلك بعد انتقال النبي صلى الله عليه وسلم للرفيق الأعلى (الذهبي، ١٤١٧، ج ١، ص ٥). حيث قال أبو بكر رضي الله عنه يوم السقيفة: "وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين فبإيعوه" يعني عمر بن الخطاب وأبا عبيدة (ابن كثير، ١٤١٨-١٩٩٨، ج ١٠، ص ٧٨). وذكر السيوطي (٢٠٠٣-١٤٢٤) "أنَّ عمر رضي الله عنه قال: لو أدركني أحد رجلين ثم جعلت الأمر إليه لوثقْتُ به، سالم مولى أبي حذيفة، وأبو عبيدة بن الجراح" (ص ١١٠). وشهد له النبي صلى الله عليه وسلم بالجَنَّة، قال صلى الله عليه وسلم: "أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة، وسعد بن أبي وقاص في الجنة، وسعيد بن زيد في الجنة، وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة" [أحمد: ١/١٩٣]. وسَمَّاهُ أمين هذه الأُمَّة (الذهبي، ١٤١٧، ج ١، ص ٦). وقال ابن عبد البر (٢٠٠٢-١٤٢٣) "أحد العشرة المشهود لهم بالجنة" (ج ٦، ص ٢٠٢).

وكان رضي الله عنه معدوداً فيمن جمع القرآن الكريم (الذهبي، ١٤١٧، ج ١، ص ٨). ومما ورد في فضله: ما بلغ معاذ بن جبل رضي الله عنه أن بعض أهل الشام استعجزَ أبا عبيدة [اتهموه بالعجز] أيام حصار دمشق ورجع حينها خالد بن الوليد، فغضب معاذ وقال: "أبأي عبيدة يُظنُّ؟ والله إنه لمن خيرة من يمشي على الأرض"، وقال بعد وفاة أبي عبيدة رضي الله تعالى عنه وهو يخطب في الناس: "وإنكم فجعتم برجل ما أزعم والله أي رأيتم من عباد الله قط أقل حقدًا ولا أبرَّ صدرًا ولا أبعد غائلة ولا أشد حياء للعاقبة ولا أنصح للعامة منه فترحموا عليه" (ابن حجر، د.ت، ج ٢، ص ١٣، ١٢). وقد قال عمر رضي الله تعالى عنه لجلسائه يوماً: "تمنّوا، فتمنّوا، فقال عمر رضي الله تعالى عنه: لكني أتمنى بيتاً ممتلاً رجالاً مثل أب عبيدة بن الجراح" (شُرَّاب، ١٤١٨-١٩٩٨، ص ٢٤٥).

وبالتالي فقد جمع رضي الله تعالى عنه جملة من الفضائل استمرَّ أثرها إلى اليوم وإلى ما شاء الله، فهل أن للمسلم أن يترك بصمته؟ ويرى أثره من بعده؟ كل ذلك ممكن، بشرط الهمة والمبادرة والإقدام والمسايرة دون تسويف.

حبُّ النبي صلى الله عليه وسلم له:

عن عبد الله قال: سألتُ عائشة رضي الله تعالى عنها: "أيُّ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أحبَّ له؟ قالت: أبو بكر، ثم عمر، ثم أبو عبيدة بن الجراح" [الترمذي: ٣٦٥٧]. وحاشاه صلى الله عليه وسلم أن يحبَّ إلا من أحبَّه الله تعالى؛ ذلك أن الحبَّ في الله ولله أثر في الدنيا وسعادة في الآخرة، ولتلك المحبة أسباب: أليس من السابقين للإسلام؟ أليس ممن جاهد في الله؟ أليس ممن هاجر بدينه إلى الله تعالى؟ أليس من ضحى بثنيتيه حفاظاً على رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ بلى، فكانت المحبة الإلهية والنبوية جزاءً وفاقاً.

علمه وفقهه:

حدث عنه بعض الصحابة رضي الله عنهم: كالعزباض بن سارية وجابر بن عبد الله وأبي أمامة الباهلي وسمرة بن جندب وأسلم مولى عمر وعبد الرحمن بن غنم، وآخرون، وروى له الإمام مسلم في صحيحه حديثاً واحداً، والترمذي في سننه حديثاً واحداً، وكذلك روى له بقي خمسة عشر حديثاً، وأحمد في مسنده اثني عشر حديثاً (الذهبي، ١٤١٧، ج ١، ص ٦). وقيل أنه روى ثمانية أحاديث فقط، وغالب أحاديثه التي رواها شامية، ويعلّل لذلك: أنه لم يُحتج إليه لكثرة أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، ولاشغاله بالعبادة والأسفار والجهاد، وكانت وفاته متقدمة (شُرَاب، ١٤١٨-١٩٩٨، ص ٢٥٦، ٢٥٨، ٢٦٢). وفي مرة أرسله النبي صلى الله عليه وسلم في سرية لسيف البحر وكان أميراً على ثلاثمائة رجل فجاءوا لما نفذ زادهم فألقى الله عليهم من البحر حوت العنبر، فقال أبو عبيدة: "ميتة، ثم قال: لا، نحن رُسُلُ رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفي سبيل الله؛ فكلُّوا، فلما رجعوا أخبروا النبي صلى الله عليه وسلم فأقرَّهم، وقال: هل معكم منه شيء؟ فاكل [مالك: ٢٤]. ولزومه نشر العلم حتى وهو في فراش المرض، ومن ذلك ما نقله الذهبي (١٤١٧) عن عياض بن غُطَيْف حيث قال: "مرض أبو عبيدة، فدخلنا عليه نعوذه، فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "الصيام جُنَّةٌ مالم يخرقها". وقال عياض أيضاً: "دخلت على أبي عبيدة بن الجراح في مرضه، وامرأته تُخَيِّفُهُ جالسة عند رأسه، وهو مقبل بوجهه على الجدار، فقلت: كيف بات أبو عبيدة؟ قالت: بات بأجر، فقال: إني والله ما بتُّ بأجر، فكأنَّ القوم ساءهم، فقال: ألا تسألوني عما قلت؟ قالوا: إنَّا لم يعجبنا ما قلت، فكيف نسألك؟ قال: "إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "من أنفق نفقة فاضلة في سبيل الله فسيب مئة، ومن أنفق على عياله أو عاد مريضاً أو مازَّ أذىً فالحسنة بعشر أمثالها، والصوم جُنَّةٌ ما لم يخرقها، ومن ابتلاه الله ببلاء في جسده فهو له حِطَّةٌ" (ج ١، ص ٢٣). ومن سعة علمه وفقهه أن النبي صلى الله عليه وسلم أرسله مع وفد نجران معلماً وقاضياً؛ فقد نقل ابن هشام (د.ت) أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لوفد نجران: "انتوني العشية أبعث معكم القوي الأمين" فكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: ما أحببت الإمارة قط حيي إياها يومئذ رجاء أن أكون صاحبها، فرُخْتُ إلى الظُّهر مُهَجَّراً، فلما صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم سلَّم، ثم نظر عن يمينه وعن يساره، فجعلت أتطاول ليراني، فلم يزل يلمس ببصره حتى رأى أبا عبيدة ابن الجراح فدعاه فقال: "اخرج معهم، فاقض بينهم بالحق فيما اختلفوا فيه"، قال عمر: فذهب بها أبو عبيدة (ج ١، ص ٥٨٤). ومما ذكر في سعة علمه ما رواه أنس رضي الله تعالى عنه: "أن أهل اليمن قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا: ابعث معنا رجلاً يعلمنا السنة والإسلام فأخذ بيد أبي عبيدة، فقال: هذا أمين هذه الأمة" [أحمد: ٢١٢/٣]. ومن علمه وفقهه ما ورد عنه أن رجلاً من المسلمين أجار رجلاً من المشركين، وقائد الجيش أبو عبيدة رضي الله تعالى عنه، فقال خالد وعمرو رضي الله تعالى عنهما: لا تجبروه، وقال أبو عبيدة رضي الله تعالى عنه: نُجبره: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "يُجبر على المسلمين أحدُهم" (شُرَاب، ١٤١٨-١٩٩٨، ص ٢٦٣). ويظهر مما سبق أن علمه وفقهه لم يكن حفظاً وترديداً، وإنما عملاً ظهر في مواطن كثيرة حتى وافاه أجله رضي الله تعالى عنه. فهل للمعلم أن يرى أثر علمه تطبيقاً وممارسة؟ وهل له أن يوافق قوله عمله؟ وهل له أن يبذل علمه دون أن يستنكف أو يحتقر من هو دونه؟ بلى، فليَمِ التَّغافل؟ ولمِ التَّسويف؟ ولمِ التَّوكل؟

أمانته:

عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينًا، وَأَمِينُ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَبُو عَبِيدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ" [البخاري: ٣٧٤٤]. وذلك عندما أتى أسقفا نجران العاقب والسيد، فقالا: ابعث معنا أميناً حقاً أمين، فقال صلى الله عليه وسلم: "لأبعثنَّ معكم رجلاً أميناً حقاً أمين، فاستشرف لها الناس، فقال: قم يا أبا عبيدة فأرسله معهم" [البخاري ٤٠/١]. ونقل ابن هشام (د.ت) أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لوفد نجران: "انتوني العشية أبعث معكم القوي الأمين" فكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: ما أحببت الإمارة قط حيي إياها يومئذ رجاء أن أكون صاحبها، فرُخْتُ إلى الظُّهر مُهَجَّراً، فلما صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم سلَّم، ثم نظر عن يمينه وعن يساره، فجعلت أتطاول ليراني، فلم يزل يلمس ببصره حتى رأى أبا عبيدة ابن الجراح فدعاه فقال: "اخرج معهم، فاقض بينهم بالحق فيما اختلفوا فيه"، قال عمر: فذهب بها أبو عبيدة (ج ١، ص ٥٨٤). وروى السيوطي (١٤٢٤-٢٠٠٣) "أنَّ عمر رضي الله عنه قال: إن أدركني أجلي وأبو عبيدة بن الجراح حيَّ استخلفته، فإن سألتني ربي قلت: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "إن لكل نبي أميناً، وأميني أبو عبيدة بن الجراح" (ص ١١٠). فالأمانة في الدين تقود للأمانة في الدنيا، والأمانة تنبع من رقابة ذاتية راسخة في النفس، تسقط أمامها المغريات والأهواء وحظوظ النفس، ولا يبقى حينها إلا الإخلاص وتحقيق الأهداف المرجوة.

جهوده ومناصبه القيادية:

ولاه أبو بكر رضي الله عنه في خلافته بيت مال المسلمين (الذهبي، ١٤١٧، ج ١، ص ١٥). وولاه عمر رضي الله عنه على الشام حين فتحت (ابن عبد البر، ١٤٢٣-٢٠٠٢، ج ٦، ص ٥١٢). وكان قائدا للجيش وأميراً عليها وهو أول منصب يتولاه مسلم (أمير أمراء جيوش المسلمين)، والولاية التي تولاه أبو عبيدة رضي الله تعالى عنه كانت تشمل الحرب والإدارة (شُرَاب، ١٤١٨-١٩٩٨، ص ١٦٩، ١٦٧). وكان رضي الله عنه معدوداً فيمن جمع القرآن الكريم (الذهبي، ١٤١٧، ج ١، ص ٨). وتلك الجهود بقيت آثارها لليوم وإلى قيام الساعة، فكيف للمسلمين أن يؤدوا عباداتهم لو لم يكن القرآن موجوداً بين أظهرهم؟ وهكذا هو حال المعلم المسلم يجتهد في النفع دون انتظار الجزاء؛ فما عند الله خيرٌ وأبقى.

زهده في الدنيا:

بكى أبو عبيدة يوماً، فقيل: ما يبكيك يا أبا عبيدة؟ قال: يبكي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر يوماً ما "يفتح الله على المسلمين"، حتى ذكر الشام فقال: "أن نسا الله في أجلك فحسبك من الخدم ثلاثة: خادم يخدمك، وخادم يسافر معك، وخادم يخدم أهلَكَ. وحسبك من الدواب ثلاثة: دابة لرُحلك، ودابة لثِقَلِك، ودابة لغلَامِك" ثم ها أنذا أنظر إلى بيتي قد امتلأ رقيقاً، وإلى مربطي قد امتلأ خيلاً، فكيف ألقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدها؟ وقد أوصانا: "إن أحبكم إليّ، وأقربكم مني، من لقيني على مثل الحال التي فارقتكم عليها" (الذهبي، ١٤١٧، ج ١، ص ١٣).

ومن زهده في الدنيا رضي الله عنه، ما ورد عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما: "أن عمر رضي الله عنه لما قديم الشام، قال لأبي عبيدة: اذهب بنا إلى منزلك، قال: وما تصنع عندي؟ ما تريد إلا أن تعصر عينيك عليّ، قال: فدخل فلم ير شيئاً، قال: أين متاعك؟ لا أرى إلا لُبْدًا وصَحْفَةً وشَنًّا، وأنت أمير، أعندك طعام؟ فقام أبو عبيدة إلى جَوْنَةٍ فأخذ منها كُسِيرَاتٍ، فبكى عمر وقال: غَيَّرْنَا الدنيا كُلَّنا غَيْرُكَ يا أبا عبيدة" وقال رضي الله تعالى عنه: "وَدَدْتُ أَنِّي كُنْتُ كِبْشًا، فيذبحني أهلي، فيأكلون لحبي، وَيَحْسُون مَرَقِي" وقال: "وَدَدْتُ أَنِّي رَمَادٌ تَسْفِينِي الرِّيح" (الذهبي، ١٤١٧، ج ١، ص ١٨، ١٧). والزهد أيها المعلم لا يعني الرهينة، ولا يعني الدروشة، وإنما يعني الرضى والقناعة والبذل؛ فالله هو الرزاق، والدنيا ممر، لا يؤسف على ما فات منها؛ كونها فانية، وكل من عليها هالك لا محالة.

أخلاقه:

قال الذهبي (١٤١٧) "كان موصوفاً بحُسن الخلق، وبالجلم الزائد، والتواضع" (الذهبي، ١٤١٧، ج ١، ص ٣). وعن عبدالله بن عمرو: "ثلاثة من قريش أصبح الناس وجوهاً، وأحسنهم خُلُقاً، وأشدُّهم حياءً: أبو بكر وعثمان وأبو عبيدة" (ابن حجر، د.ت، ج ٢، ص ١٢). وقال معاذ رضي الله عنه بعد وفاة أبي عبيدة رضي الله تعالى عنه وهو يخطب في الناس: "وإنكم فجعتهم برجل ما أزعَمَ والله أني رأيت من عباد الله قط أقل حقداً ولا أبر صدرا ولا أبعد غائلة ولا أشد حياء للعاقبة ولا أنصح للعامة منه فترحموا عليه" (ابن حجر، د.ت، ج ٢، ص ١٣). قال عنه أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه: "عليكم بالهَيِّئِ اللَّيِّنِ الذي إذا ظَلُمَ لم يَظْلَمْ، وإذا أسيء إليه غفر، وإذا قُطِعَ وصل، رحيم بالمؤمنين، شديد على الكافرين، عامر بن الجراح" (شُرَاب، ١٤١٨-١٩٩٨، ص ٢٤٩).

و ممّا يدلّ على حسن خلقه ما أورده الذهبي (١٤١٧) بأن النبي صلى الله عليه وسلم بعثه مدداً في سرية من الصحابة رضي الله عنهم -وفهم أبو بكر وعمر- إلى الشام وأمّره عليهم، فلما وصل للجيش في الشام اعترض عليه عمرو بن العاص -الذي كان قائداً- بأن يكون أبو عبيدة رضي الله عنه ضمن الجيش وليس قائداً، وأن النبي صلى الله عليه وسلم إنما بعثه مدداً وأميراً على أصحابه حتى يصل؛ فتنازل أبو عبيدة لعمرو بن العاص رضي الله عنهما (ج ١، ص ٩). ونقل شُرَاب (١٤١٨-١٩٩٨) حديثاً -فيه ضعف- أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ما من أحد من أصحابي إلا لو شئت لأخذت عليه في خلقه ليس أبا عبيدة بن الجراح" (ص ٢٤٩). وبالتالي فإن الخلق الحسن عبادة، وهو مفتاح القلوب المغاليق لقبول الحق، ورصيد في محبة الخلق والخالق.

تواضعه وتقواه:

قال أبو عبيدة يوماً: "أيها الناس إني امرؤ من قريش، وما منكم أحمر ولا أسود يفضّلني بتقوى إلا ودَدْتُ أَنِّي في مسَلَاخِهِ" (الذهبي، ١٤١٧، ج ١، ص ١٨). والتواضع ضد الكبر، وهو رداء المؤمن؛ فالناس لا يألِفون المتكبرين وإن أظهرُوا لهم الألفة، ولن يصل المعلم لقلوب طلابه إلا أن يتواضع لهم حتى يرفعه الله تعالى في الدنيا والآخرة.

جهاده:

بدأ جهاده في الإسلام مبكراً في سرايا للنبي صلى الله عليه وسلم، ومن ذلك: أن النبي صلى الله عليه وسلم أمّره على سرية إلى ذي القصة في السنة السادسة للهجرة -على بعد سبعة أميال من المدينة- ومعه أربعون رجلاً فأغاروا على بني محارب وثلعبية وأنمار؛ فأعجزوهم هرباً، وعادت السرية إلى المدينة مع الغنائم (شُرَاب، ١٤١٨-١٩٩٨، ص ٩٠-٩١). ومنها سرية سيف البحر، فقد أرسله النبي صلى الله عليه وسلم في سرية سيف البحر وكان أميراً على ثلاثمئة رجل فجاءوا لما نفذ زادهم فألقى الله عليهم من البحر حوت العنبر، فقال أبو عبيدة: "ميتة، ثم قال: لا، نحن رُسُل رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفي سبيل الله؛ فكلُّوا، فلما رجعوا أخبروا النبي صلى الله عليه وسلم فأقرَّهم، وقال: هل معكم منه شيء؟ فأكل" [مالك: ٢٤]. ومنها سرية المدد إلى الشام، و ما أورده الذهبي (١٤١٧) عنها بأن النبي صلى الله عليه وسلم بعثه مدداً في سرية من الصحابة رضي الله عنهم -وفهم أبو بكر وعمر- إلى الشام وأمّره عليهم، فلما وصل للجيش في الشام اعترض عليه عمرو بن العاص -الذي كان قائداً- بأن يكون أبو عبيدة رضي الله عنه ضمن الجيش وليس قائداً، وأن النبي صلى الله عليه وسلم إنما بعثه مدداً وأميراً على أصحابه حتى يصل؛ فتنازل أبو عبيدة لعمرو بن العاص رضي الله عنهما (ج ١، ص ٩).

قال ابن عبد البر (١٤٢٣-٢٠٠٢) "وشهد بدرًا وأحدًا وسائر المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم" وقال "ولم يُخْتَلَف في أنه شهد بدرًا والحديبية" (ج ٦، ص ٢٠٥، ٢٠٦). وقال ابن كثير (١٤١٨-١٩٩٨) "وقد شهد بدرًا وما بعدها" (ج ١٠، ص ٧٨). وقال الذهبي (١٤١٧) "شهد بدرًا وقتل أباه، وأبلى يوم أحد بلاء حسناً، ونزع يومئذ الحلقتين اللتين دخلتا من المغفر في وجنة رسول الله صلى الله عليه وسلم من ضربة أصابته، فانقلعت ثنيتاه،

فَحَسُنْ ثَغْرَهُ بَذَاهِمَا، حَتَّى قِيلَ: مَا رَوَى هَتَمٌ قَطُّ أَحْسَنَ مِنْ هَتَمِ أَبِي عُبَيْدَةَ" (ج ١، ص ٨). وقال ابن حجر (د.ت) "قتل أباه يوم بدر ونزل فيه قوله تعالى: (لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ..) حين حادَّ عن أبيه فلمَّا أَكْثَرَ عَلَيْهِ قَصْدَهُ فَقَتَلَهُ" (ج ٢، ص ١١). وقال ابن كثير (د.ت) "نزلت في أبي عبيدة حين قتل أباه يوم بدر" (ج ٤، ص ٤٦٩). وقال الواحدي (١٤١٢-١٩٩٢) "روي عن ابن مسعود قال: نزلت هذه الآية في أبي عبيدة بن الجراح حين قتل أباه يوم أحد" (ص ٤١٤).

وكان أغلب من شهد بدرًا من المهاجرين، وقد حبس العذر بعضهم فأعطى النبي صلى الله عليه وسلم أجور المقاتلين، وضرب لمن حبسهم العذر بأسهم، وكان إجمال عددهم ثلاثمئة وثمانين رجلاً (ابن هشام، د.ت، ج ٢، ص ٦٨٥).

وبعدما فرغ من الجهاد مع أبي بكر الصديق في حروب الردة، أمره أبو بكر رضي الله عنه لقيادة جيش الشام، ثم ولّاه عمر رضي الله عنه لقيادة كل الجيوش بعدما عزل خالدًا؛ ففتح الله تعالى على المسلمين في عدّة مواطن منها: أجنادين، وفِجْل، ومُرْج الصُّفَر، وكان قائدًا من القوّاد - قبل ذلك - في معركة اليرموك تحت إمرة خالد، وهي المعركة التي استأصل الله تعالى فيها جيوش الروم وقتل منهم خَلْقٌ عظيم (الذهبي، ١٤١٧، ج ١، ص ٢٢٠، ٢١).

وأشار شُرّاب (١٤١٨-١٩٩٨) إلى أنه في وقعة اليرموك، وحّد أبو عبيدة رضي الله تعالى عنه الجيوش تحت قيادة خالد رضي الله تعالى عنه، وكانت أكبر هزيمة للروم الذين كان عددهم مئة ألف والمسلمون ستة وثلاثون ألفاً (ص ١٨٧-١٩٠).

وتجدر الإشارة إلى أن أبو بكر رضي الله تعالى عنه اختار لفتح الشام - في السنة الثانية عشرة للهجرة - أربعة من الصحابة رضي الله تعالى عنهم، وهم: أبو عبيدة بن الجراح، ومعاذ بن جبل، وشرحبيل بن حسنة، ويزيد بن أبي سفيان، وقال لهم فيما قال: "فإذا قُدِّمْتُ البلد ولقيتم الجنود واجتمعتم على قتالهم فأمركم أبو عبيدة بن الجراح" وخصّه بفتح جمص فيما بعد ففتحت صلحاً، واشترك مع خالد رضي الله تعالى عنهما في قيادة جيوش المسلمين لفتح أجنادين في السنة الثالثة عشرة للهجرة، وفي نفس السنة قدم أبو عبيدة بجيشه من الأردن إلى دمشق فحاصرها من الغرب ثم فتحت صلحاً، وفتح حلب بعد اليرموك في السنة الخامسة عشرة للهجرة، ثم أنطاكية صلحاً، وفي نفس السنة فتح بلدة مِصْرَيْنَ غنوة، وفتح بلدات أخرى، وبعد أن فرغ من تطهير شمال الشام عاد إلى فلسطين وكان عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنه يحاصر أهل القدس - من النصارى - فلما وصل أبو عبيدة رضي الله تعالى عنه طلب أهل القدس أن يصالحهم على مثل صلح أهل مدن الشام فوافقوا بشرط أن يتولى الصلح عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه (شُرّاب، ١٤١٨-١٩٩٨، ص ١٨٣-١٩٨).

ويمكن القول أن مدّة جهاده منذ بدر إلى وفاته ست عشرة سنة، منها خمس سنين في الشام بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم (شُرّاب، ١٤١٨-١٩٩٨، ص ٢٥٨). ويلاحظ أن جهاده لم يكن من تلقاء نفسه، أو افتياتاً على وليّ أمره، وإنما في جماعة المؤمنين، وإخلاصاً لربّ العالمين، وخدمةً للدين، وطاعةً لولي أمر المسلمين، والمشاهد اليوم خلاف ذلك، من افتياتٍ على الحُكّام وممالأة للأعداء واستكاناً لأهل الهوى والضلال. عبادته:

إضافةً إلى جهاده في سبيل الله - ذروة سنام الإسلام - فقد كان محافظاً على عبادات أخرى في حياته، وكان يحثُّ عليها، فقد نقل الذهبي (١٤١٧) في ذلك - روايتين - عن عياض بن غُطَيْف حيث قال: "مرض أبو عبيدة، فدخلنا عليه نعوّده، فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "الصيام جُنَّةٌ مَالِمَ يَخْرِقُهَا". وقال عياض أيضاً: "دخلت على أبي عبيدة بن الجراح في مرضه، وامرأته تُحَيِّفُهُ جالسة عند رأسه، وهو مقبل بوجهه على الجدار، فقلت: كيف بات أبو عبيدة؟ قالت: بات بأجر، فقال: إني والله ما بئ بأجر، فكأنّ القوم ساءهم، فقال: ألا تسألوني عمّا قُلْتَ؟ قالوا: إنّنا لم نجعلها ما قلت، فكيف نسألك؟ قال: "إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "من أنفق نفقة فاضلة في سبيل الله فسيبعت منه، ومن أنفق على عياله أو عاد مريضاً أو ماز أذىً فالحسنة بعشر أمثالها، والصوم جُنَّةٌ ما لم يَخْرِقُهَا، ومن ابتلاه الله ببلاء في جسده فهو له حِطَّةٌ" (ج ١، ص ٢٣).

وكان أبو عبيدة إماماً للمسلمين في الصلاة عند تسييرهم إلى الجهاد في الشام (شُرّاب، ١٤١٨-١٩٩٨، ص ١٦٥). وممّا يذكر في عبادته ما ورد عنه رضي الله تعالى عنه في باب الصدقة؛ حيث أرسل عمر رضي الله تعالى عنه إلى أبي عبيدة رضي الله تعالى عنه بأربعمئة دينار، فقسمها كلها، فقال عمر رضي الله تعالى عنه: "الحمد لله الذي جعل في الإسلام من يفعل هذا" (شُرّاب، ١٤١٨-١٩٩٨، ص ٢٤٤). والعبادة ميثاق بين الخالق والمخلوق، فإن كان مع الله كان الله معه، ومن أعرض عن الله أعرض الله عنه.

وفاته:

عندما كان في الشام وهو مرابطاً في الغزو، بدأ الطاعون يأخذ في الناس وفي عسكر المسلمين، فكتب عمر رضي الله عنه إليه، وطلب منه أن يرجع إلى المدينة معجلاً في حاجة لأمر المؤمنين، فقال أبو عبيدة رضي الله عنه: "عرفت حاجة أمير المؤمنين، إنه يريد أن يستبقي من ليس بباقي، وكتب: إني قد عرفت حاجتك فحلّني من عزيمتك، فإني جنديّ من أجناد المسلمين لا أرغب بنفسي عنهم"، فلمّا قرأ عمر رضي الله تعالى عنه الكتاب بكى، فقيل له: مات أبو عبيدة. وكان معافاً منه وأهله، فقال: "اللهم نصيبك في آل أبي عبيدة" فخرجت في حُنْصَرَةٍ بُرْءَةٍ، فجعل ينظر إليها، فقيل له: إنها ليست بشيء، فقال: "أرجو أن يبارك الله فيها، فإنه إذا بارك في القليل كان كثيراً" (الذهبي، ١٤١٧، ج ١، ص ١٨-١٩، ٢٢). قال ابن عبد البر (١٤٢٣-٢٠٠٢) "توفي في طاعون عمواس خمسة وعشرون ألفاً منهم أبو عبيدة" (ج ٦، ص ٢٠٢). وقيل: أنه قبل وفاته انطلق يريد الصلاة ببيت المقدس فأدركه أجله، فتوفي هناك وأوصى أن يدفن حيث قضى، وذلك بفِجْل من أرض الأردن، ويقال: إن قبره ببيسان (ابن حجر، د.ت، ج ٢، ص ١٣). وقيل: قبره بالجابية (ابن كثير،

(١٤١٨-١٩٩٨، ج ١٠، ص ٧٨). وقال ابن كثير (١٤١٨-١٩٩٨) "وقد اشتهر في هذه الأعصار قبرُّ بالقرب من عقبة عُثَيَّاء بالغَوْر ينسب إليه والله أعلم" (ج ١٠، ص ٧٨). وذكر شُرَّاب (١٤١٨-١٩٩٨) أنه ذُكر في مكان قبره ثلاث روايات: فالأكثر على أنه في عُمثَا، وقيل في بيسان، وقيل في طبرية (ص ٢٢٧). ويلاحظ القارئ الكريم أن مكان قبره محصور ذكره في منطقة غور الأردن والله تعالى أعلم.

توفي رضي الله عنه في سنة ثمانٍ عشرة للهجرة، وعمره ثمان وخمسون سنة (الذهبي، ١٤١٧، ج ١، ص ٢٣).

وقد يتبادر إلى الذهن: كيف لم يفرّ من الطاعون لما أرسل إليه عمر رضي الله تعالى عنه يستدعيه؟ ولماذا يدعو على نفسه به عندما قال: "اللهم نصيبك في آل أبي عبيدة؟" والجواب جدٌ بسيط: فالفرار من الطاعون منبئٌ عنه كما ورد في السنة بأنه إذا دخل أرض قوم لا يخرجون منها، وإن كانوا خارجها لا يدخلون إليها، وقد أصاب أهل عمواس فلا يصحّ له أن يخرج وهو مقيم فيهم، قال صلى الله عليه وسلم: "إذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوها، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها" [البخاري: ٥٣٩٦]. أما عن دعائه على نفسه به، فلأنه شهادة فيمن عدّهم النبي صلى الله عليه وسلم من الشهداء في أمته، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما تعدون الشهداء فيكم؟ قالوا: يا رسول الله من قتل في سبيل الله فهو شهيد، قال: إن شهداء أمتي إذا لُقي، قالوا: فمن يا رسول الله؟ قال: من قتل في سبيل الله فهو شهيد، ومن مات في سبيل الله فهو شهيد، ومن مات في الطاعون فهو شهيد، ومن مات في البطن فهو شهيد، والغريق شهيد" [مسلم: ٦٣٢٥]. والله تعالى أعلم.

ولكن كيف يستفيد المعلم القدوة من تلك الصفات والمعالم؟ وكيف يطبقها؟ هذا ما سيبلوره الفصل القادم.

• التطبيقات التربوية لمعالم القدوة من سيرة أبي عبيدة رضي الله عنه:

مرّ في الفصل الثالث من هذا البحث، سيرة أبي عبيدة رضي الله تعالى عنه، ومعالم القدوة المتمثلة في سمّته وقوله وعمله، والتي كانت ملازمة له منذ دخوله في الإسلام حتى وفاته رضي الله تعالى عنه؛ فكان لازماً على كلّ معلّم ومربٍّ أن يستقي من تلك المعالم وتلك القيم الراسخة، حتى يكون مؤثراً تأثيراً إيجابياً في النشء الذي هو في أمس الحاجة لوجود القدوة الحسنة الصالحة الناصحة. إن أبناء المسلمين اليوم غدوا يتتبعون كل ناعق ومشهور يحذون حذوه في عاداتهم ومعاملاتهم وأخلاقهم وهيئاتهم، لا يعرفون الحق فيتبعونه، ولا يدركون الباطل فيجتنبونه؛ فتلقّفهم أيدي الغواية حتى أضحوا بين منحرفٍ ومتطرف، والسبب يعود لفقدان القدوة الحقّة؛ فالقدوة هي التربية الصامته، وهي طريقة من طرائق التربية التعليم عبر المحاكاة، وهنا دعوة للمعلّم الأريب والعامل اللبيب والمربيّ الأديب، أن ينهج نهج الصالحين، سيّما من كان لهم الفضل بعد الله تعالى في رفعة هذا الدين، وبلوغه أصقاع الدنيا، فقد كانوا منارات للهدى، ومشاعل للهداية، وسطّرت كتب التاريخ والسيرة ما قالوه وفعلوه بمداد الأعين ومياه الذهب، ولعلّ من أبرزهم أبو عبيدة بن الجراح رضي الله تعالى عنه.

إن المتأمل في سيرة أبي عبيدة، يجد صفاتٍ قلما توجد في غيره، باطنٌ نقي، وخُلُقٌ حيّ، وقلبٌ زكيّ، وسلوكٌ سويّ، تربّى في مدرسة النبوة، فكان النبيّ صلى الله عليه وسلم قدوته، والقرآن منهجته، والجنة موعده. فما أبرز ما لمع في سيرته؟ وكيف يصنع منها المعلم دثاراً ورداءً ومنهجاً ومسلكاً في سيره نحو تربية إسلاميةٍ يحصّن بها نفسه، ويحصّن بها النشء حتى تنجو السفينة؟

ومما سبق يتبين للقارئ الكريم، أن أبا عبيدة رضي الله تعالى عنه ورث في سيرته العطرة صفاتٍ يُقتدى بها حاضراً ومستقبلاً، والتي يمكن تصنيفها إلى قسمين: عباداته، ومعاملاته.

فعباداته برزت في: سبقه للإسلام، وهجرته بدينه، وجهاده، ونشره للعلم، وتقواه، وصلاته، وصيامه، وصدقته، وغيرها، حتى استحق الشهادة بالجنة.

ومعاملاته برزت في: هيأته، وتماسك أسرته، ورحمته بالمؤمنين، وشدته على الكافرين، وحيائه، وتواضعه، وقلة حقه، وبراءة صدره من الغوائل، وبذله للنصح، وعلمه، وفقهه، وعفوه، وصلته، وحلمه، ومحبته، وقوته، وأمانته، وزهده، وحسن الخلق كله فيه، ومواصفات القيادة قد تمثّلها قولاً وعملاً.

أولاً: صفات المعلم القدوة في مجال العبادات:

• الدعوة إلى الله تعالى: فقد كان أبو عبيدة رضي الله تعالى عنه من السابقين إلى الإسلام بتوفيق الله تعالى له، ثم إن للداعية -الذي أسلم على يديه- دور مهم لإرشاده إلى دين الحق، والداعية كان هو أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه، ذلك أنه عمل بقوله تعالى: (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ سَوْهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُنْتَدِينَ) [النحل: ١٢٥].

وهنا تطبيق عملي للزوم هذا المنهج القويم، بأن تقوم الدعوة على ثلاثة أساليب: الحكمة، والموعظة الحسنة، والجدال بالتي هي أحسن، فمتى التزم الداعية - سيّما المعلم مع طلابه- هذا المنهج، كان أبلغ في قبول ما يدعوهم إليه. قال ابن باديس (١٤١٢) معيّناً حول الآية السابقة "وها نحن قد بلغ بنا الحال إلى ما بلغ من الجهل بحقائق الدين، والجمود في فهمه، والإعراض عن العمل به، والفتور في العمل" (ص ٣١). وقال أيضاً "فحق على أهل الدعوة إلى الله -وخصوصاً المعلمين- أن يقاوموا الجهل والجمود والغموض والإعراض والفتور، بالتزام البيان للحقائق العلمية بأدلتها، والعقائد ببراهينها، والأخلاق بمحاسنها، والأعمال بمصالحها" (ص ٣٢). لأن الحقائق تبرز بالإقناع، أما الفرض والإملاء فأثره وقته يزول بزوال سببه، فأبناء المسلمين هم

أمانة تستدعي أن يتوقف المعلم فيها وقفة القدوة الصادقة الداعية التي تبين الحق بحسب حاله دون كلل أو ملل، لعل الله تعالى أن ينفع الأمة ببعضهم، ويكونوا سفراء لدين الله سبحانه يُشار إليهم بالبنان أينما حلوا.

● الهجرة بالدين: إن هدف الهجرة بالدين يبرز في الحفاظ عليه من المؤثرات المجتمعية إذا شاع فيها الفساد والتضييق والانحراف الفكري، وهو ما بدأ عليه الإسلام من غربة، وسيعود إلى تلك الغربة، عن أبي هريرة قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ" [مسلم: ١٤٥]. ومن غربة الدين انتشار الفساد وشيوعه حتى في المجتمع المسلم، حيث يتأتى هنا أن يرشد المعلم طلابه، والمرتب أبناءه إلى ما يحافظون به على دينهم، في ظل تدفق المعرفة، وانتشار التقنية، ودخول ثقافات غريبة إلى مجتمعات المسلمين تحت شعار مواجهة الغزو الفكري في ظل العولمة، ومن تلك التطبيقات التي يمكن اتباعها:

١. لزوم طلب العلم الشرعي من أهله المعتبرين، وسبل الوصول إليهم يسيرة مشاعة.
٢. الابتعاد عن مواطن الشبه والفتن والمعاصي في الأماكن العامة والمجالس الخاصة والقنوات التي تبث سمومها على مدار الساعة، بحيث يستمرؤها البعض بحجة التسلية وحب الاطلاع؛ فهي تأخذ بالألباب والعقول وتفسد الدين.
٣. مراقبة ما يتداوله الأبناء في هواتفهم الذكية وترشيد استخدامها برقابة غير مباشرة، لأن الرقابة المباشرة منقّرة.
٤. الجلسات الحوارية الفكرية التي تعزز التماسك الأسري، والانتماء الديني، والمواطنة الصالحة، وتفيد الشبهات المضلّة التي يروج لها الكثير من الناعقين في هذا الزمان.
٥. التزام شعبية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كل بحسبه، فالوالد مع أولاده، والمعلم مع طلابه، والمسؤول مع من تحت إمرته، وهذه الشعيرة قد انفرد بها الإسلام -دون بقية الأديان- حتى علا شأنه وانتشر هديه.

● الجهاد: لم يكن الجهاد حركاً على المبادأة بالسلاح وخوض الحروب، وإنما تدرج فيه الإسلام بالدفاع، ثم الدعوة، ثم الفتوحات، ثم إن مسعى الجهاد يندرج تحته: جهاد النفس، وجهاد الشيطان، ثم جهاد الكفار، والمنافقين، قال ابن القيم (١٤١٨-١٩٩٨) "الجهاد أربع مراتب: جهاد النفس، وجهاد الشياطين، وجهاد الكفار، وجهاد المنافقين، وجهاد النفس بأن يُجاهدَهَا على تَعَلُّمِ الْهُدَى، والعَمَلِ بِهِ.. وجهاد الشيطان: جهاده على دفع ما يُلقِي إلى العبد من الشُّبُهَاتِ والشَّهَوَاتِ... وجهاد الكفار والمنافقين بالقلب واللسان والمال والنفس، وجهاد الكفار أَخْصُ بِالْيَدِ، وجهاد المنافقين أَخْصُ بِاللِّسَانِ" (ج ٣، ص ٩-١٢).

وللأسف فإنه قد ظهر في هذا العصر ما يسمى ب(الجهاد الإلكتروني [القرصنة]، وجهاد المناكحة، وغيرهما) مما لا يمتُّ للجهاد الشرعي بصلة؛ فالجهاد ثابت شرعاً إلى قيام الساعة، ولكن كيف؟ ومن؟ ومتى؟ وأين؟

وبالتالي فإن المعلم كان لزاماً عليه أن يوضح لطلابه أحكام الجهاد، وأحواله، وشروطه، كي لا يزلقوا إلى شراذم الدواعش التي ابتلي بها المسلمون، حيث لم يسلم المسلمون -حكماً وعلماءً وأفراداً- من سطوة ألسنتهم وأسلحتهم. فغدوا شوكة في خصرة المجتمعات الإسلامية، فمن يلاحظ عليه انحراف في هذا الباب وجبت مناصحته سراً، وهنا دعوة لوزارة التعليم باعتماد مكاتب للحوار الفكري في مدارس الثانوية والجامعات لإزالة الغمّة عن حدثاء الأسنان وسفهاء الأحلام، فإن لم يقتنعوا وجب الإبلاغ عنهم. والدولة أعزها الله تعالى تتولّى أمره لتعيده إلى رشده؛ فمن لم بقومه اللسان قومته البنّان.

● نشر العلم وبذله: مرّ في الفصل السابق أن أبا عبيدة رضي الله تعالى عنه روى بعض الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم، وسطّرتها كتب الصحاح والسنن والمسانيد، ممّا يدل على حرصه رضي الله تعالى عنه على نشر العلم وبذله، وهو في ذلك على دأب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في نشر سنته، وهي صفة نبيلة، وعبادة جليّة حتّى عليها الشارع الحكيم واعتبرها صدقة جارية، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له" [مسلم: ١٣٨٣]. ولذلك كان حريّاً بالمعلم أن لا يدخر جهداً في إبلاغ العلم والتزود منه دون أن يستنكف أو يتكبر -سيّما العلم الشرعي الذي به يعرف الله وتُعرف أحكامه- مع شرط العمل، ويعلم أبناء المسلمين ما يقيم دينهم، ويصلح دنياهم، وليس كل ما يُعلّم يُقال، قال ابن مسعود رضي الله عنه: "ما أنت محدث قوما حديثاً لا تبلغه عقولهم، إلا كان لبعضهم فتنة" (ابن عبد البر، د.ت، ج ١، ص ٥٣٩). وأدأب المعلم والمتعلم منشورة مشهورة، والحث على طلب العلم ونشره مستفيض متواتر ليس هذا مقام بسطه، إلا أن الباحث يقدّم دعوة للمعلم القدوة أن يجعل له إنتاجاً فكرياً يبقى نفعه وأثره، ويخلص النية في ذلك. لأن المشاهد في المؤسسات التعليمية عبارة عن معلومات تحشى في عقول النشء تنتهي في ورقة الاختبار، فخرج أشباه متعلمين، وهو ما انعكس على المخرجات التعليمية، فلا المعلم نشر علماً نافعاً يراعي تطبيقه ويرجو نفعه، ولا الطالب حفظ وفهم وطبّق ما تعلّم.

● التقوى: إن التقوى صفة راسخة في المؤمن -المعلم القدوة- فلا بد لكل معلم أن يتقي الله في ما يقوله ويعمله، ويراقب الله تعالى في تعليمه لأبناء المسلمين؛ إذ إن التقوى ملازمة للعلم، قال تعالى: (وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ وَكُلَّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) [البقرة: ٢٨٢]. والتقوى تقود للإنجاز؛ فيجني المعلم -والمسلم بشكل عام- منها ثمرات عاجلة فضلاً عن ثمرتها الأجلّة يوم القيامة، فمن ثمرات التقوى العاجلة في الدنيا ما ذكره فريد (١٩٩٣) أنها:

١. المخرج من كل ضيق والرزق من حيث لا يحتسب.
٢. تجلب السهولة واليسر في كل أمر.

٣. تيسر تعلم العلم النافع.

٤. تطلق نور البصيرة.

٥. تستجلب محبة الله تعالى ومحبة ملائكته الكرام، وتجعل للمتقي القبول في الأرض.

٦. تستنزل نصره الله تعالى وتأيبه وتسديده.

٧. سبب البركات من السماء والأرض.

٨. سبب الحفظ من كيد الأعداء ومكرهم.

٩. تحفظ للمتقي ذريته من بعد موته.

١٠. سبب لقبول الأعمال التي بها سعادة الدارين.

١١. سبب لحلاوة الإيمان وهيبة الخلق للمتقين (ص ٧٨-٩٤).

• الصلاة: إن الصلاة دأب المرسلين، وسبيل الصالحين، وقرّة عين محمد صلى الله عليه وسلم النبي الأمين، فرضت عند سدره المنتهى ليلة المعراج من رب العالمين؛ وهي أول حق لله تعالى يحاسب به العبد يوم القيامة، فمن ضيّعها فهو لما سواها أضيع، وهي باب من أبواب الجنة، وهي الكتاب الموقوت، وهي الناهية عن الفحشاء والمنكر، وهي كفارة للذنوب، وهي رياضة لأبدان، وتطهير وجدان، وهي الصلة بين العبد وربّه، وهي الركن الثاني من أركان الإسلام، وهي الفارقة بين الكفر والنفاق والإيمان، من حافظ عليها والتزم بخشوعها وشروطها وأركانها وواجباتها وسننها كان له بها عند الله عهد، وهي آخر عروة من عرى الإسلام تُنقَضُ، وكلّ ما ذكر آنفاً دلّ عليه الكتاب والسنة؛ فأدلّتها مستفيضة متواترة، يعرفها الصغير قبل الكبير، والأُمّي قبل العالم، وبالتالي صارت الصلاة صفة بارزة لكلّ قدوة صالحة، بها تصفو أخلاق المسلم، وبها تزكو نفسه، وتستقيم جوارحه، ويبقى السؤال: كيف يجعلها المعلم المربي القدوة سلوكاً ممارساً لدى النشء؟

إن التطبيق العملي للصلاة مطلب في التنشئة الصالحة لأبناء المسلمين -سيّما الطلاب في المدارس مع معلمهم القدوات- وذلك عبر خطوات يمكن الإشارة إليها فيما يلي:

١. الترغيب في الصلاة، فالمعلم يبين للطلاب فوائد الصلاة وأهميتها -مستنداً للأدلة والقصص المؤثرة من سير الصالحين- في حياة المسلم لتطهير نفسه وتقويم سلوكه.

٢. الأمر بالصلاة من سنّ السابعة -الصف الأول ابتدائي- إلى سنّ العاشرة -الصف الرابع ابتدائي- مما يعني أنه لا يمكن للمعلم والمربي اللجوء للعقاب في تلك المرحلة العمرية. فلو تم حساب عدد الأوامر بالصلاة بأسلوب محبّب لكان عددها (٥) مرات في اليوم، وفي الشهر (١٥٠) أمراً، وفي العام (١٨٠٠) أمراً، وفي ثلاثة أعوام (٥٤٠٠) أمراً، وبالتالي قد لا يحتاج للعقاب بعد ذلك.

٣. يعلم المربي والمعلم الابن والطالب كيفية الصلاة عملياً في المنزل وأمام الطلاب حتى يحسنوها، ويحدّد للمعلم تطبيق ذلك في مادة الفقه والحديث مثلاً، وتحفيز من يتقنها.

٤. في سنّ العاشرة إن لم يلتزم الطفل بالصلاة يكون للمربي عدة أمور بالتدرّج: يأخذه معه للمسجد، أداء النوافل في البيت أمامه ليؤثر فيه تدريجياً؛ فالابن مولع بمحاكاة والده، ثم التوبيخ والتقريع والترهيب، ثم الهجر، ثم الحرمان من أشياء محببة له كاللعب مثلاً، ثم العقاب البدني الذي له ضوابط منها: أن يكون غرضه التأديب، وأن لا يكون في حال الغضب، وأن لا يزيد على ثلاثة أسواط، وأن يكون خفيفاً، وأن يكون في انفراد، وأن لا يكون بأداة مؤذية فيستخدم السواك مثلاً، وأن يتقي المقاتل والمحارم كالعورة والوجه...

٥. أن يلتجئ المربي والمعلم للدعاء بصالح الأبناء والطلاب، وأفضل الدعاء ما ورد في الكتاب والسنة.

٦. أن يستمر المربي والمعلم في تمثّل القدوة أمام أبنائه وطلابه، فمن الممارسات الخاطئة للمعلمين في المدارس، إلزام الطلاب بصلاة الظهر في المدرسة والمعلمون يخرجون من باب المدرسة دون أن يؤدّوها معهم، مع أن وزارة التعليم شددت على هذا الأمر.

• الصيام: إن صيام رمضان هو الركن الرابع من أركان الإسلام على كل بالغ عاقل لا يعذر فيه إلا المريض والمسافر، وباقي الصوم نفل لا يلزم أحد به، ولكن يحثّ عليه زيادة في الحسنات، وجبراً للنقصان في العبادات، وهو نهج الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ودأب الأتقياء، وباب من أبواب الجنة اسمه الريان، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) [البقرة: ١٨٣]. أفضل الفرض فيه صوم رمضان، وأفضل النفل فيه صيام نبي الله داود عليه السلام يصوم يوماً ويفطر يوماً. فكيف يربى عليه النشء؟ إن التعويد على الصيام سنّة متبعة، لا يمكن أن يلزم بها قبل رسوخها بالترغيب أولاً، ثم بالتدريب لمن يطيقه، ومن التدريب على الصيام ما ورد عن الصحابة رضي الله عنهم في تصويم أطفالهم يوم عاشوراء، فعن الربيع بنت معوذ قالت: "أرسل النبي صلى الله عليه وسلم غداة عاشوراء إلى قرى الأنصار "من أصبح مفطراً فليتم بقية يومه ومن أصبح صائماً فليصم" قالت: فكاننا نصومه بعد ونصوم صبيانا ونجعل لهم اللعبة من العجين، فإذا بكى أحدهم على الطعام أعطيناه ذلك حتى يكون عند الإفطار" [البخاري: ١٨٥٩]. ويمكن أن يقسم الصيام للصغير على فترتين في اليوم ترغيباً لا إلزاماً، وتتم مكافأته وتحفيزه ليكون محبباً إليه فيما بعد.

• الصدقة: إن الصدقة ترقق القلوب، وتدفع الكرب، وتطفئ غضب الربّ سبحانه، وتمحو السيئات، وتضاعف بها الحسنات، وهي بركة في الرزق، وسداد في العمل، وقد تمثلها أبو عبيدة رضي الله عنه كما مرّ في الفصل السابق. ومن التطبيقات التربوية في ذلك والتي يمكن أن يتخذها المعلم والمربي بشكل عام:

١. يحث المربي النشء على التسابق في الصدقة والبذل، مدلاً عليها ومرغباً فيها.
 ٢. يتصدّق المربي أمام النشء ليقنّوا به.
 ٣. يقترح المربي على الناشئة اقتناء حصالة يجمعون فيها الفائض من مصروفهم اليومي فيتصدّقوا بالفائض.
 ٤. إذا رأى المربي سائلاً ومعه ولده فيجعل المربي الطفل هو من يتصدّق على ذلك السائل.
- وليست الصدقة محصورة في المال وإنما قد تحصل بالإطعام، والابتسامة، وإمالة الأذى، والكلمة الطيبة، والنية الصالحة، كما دلت على ذلك النصوص، وهي ضرب من ضروب التكافل الاجتماعي، وعلى كل قدوة أن يرشد إليها ويمارسها ويحثّ عليها من تحت يده بحسب حاله دون تكليف أو مشقة.

ثانياً: صفات المعلم القدوة في مجال المعاملات:

إن صفات أبي عبيدة رضي الله تعالى عنه في كونه قدوة لم تقتصر على عباداته، وإنما أيضاً كانت له بصمة في معاملاته في شخصه ومع غيره، وتلك الصفات والمعاليم برزت في: هيأته، وتماسك أسرته، ورحمته بالمؤمنين، وشدته على الكافرين، وحيائه، وتواضعه، وقلة حقه، وبراءة صدره من الغوائل، وبذله للنصح، وعلمه، وفقهه، وعفوه، وصلته، وحلمه، ومحبه، وقوته، وأمانته، وزهده، وحسن الخلق كله فيه.

وهنا يحاول الباحث أن يبلورها تطبيقاً عملياً للمعلم القدوة، حتى تتحقّق له سعادة الدنيا والدن.

- هيئة المعلم: مرّ في الفصل السابق أن أبا عبيدة رضي الله تعالى عنه كان له عقيصتان، وكان يخضب بالحناء والكتم، وهي السبل المتاحة آنذاك للظهور بمظهر لائق. ويزعم الباحث أن هيئة المعلم كثيراً ما تكسبه الوقار والمهابة -مع صفاته الأخلاقية طبعاً- وتشد انتباه الطلاب إليه؛ فهي سنة متبعة؛ سيّما أن التعليم عبادة من جملة العبادات، والعبادة لأبد من التزيّن لها أمام ربّ العالمين قبل الطلاب النابغين، ومن ذلك ما يكون في المساجد، قال تعالى: (يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ) [الأعراف: ٣١]. قال السَّمْعَانِي (١٤٠١-١٩٨١) "ويُسْتَحَبُّ أن يكون المُؤمِّي في حال الإملاء على أكمل هيئة وأفضل زينة، ويتعاهد نفسه قبل ذلك بإصلاح أموره التي تُجملُه عند الحاضرين من الموافقين والمخالفين" (ص ٢٦).

ومن آداب النبي صلى الله عليه وسلم التي يمكن التّأسي بها في هيأته ولباسه، ما أورده ابن القيم (١٤١٨-١٩٩٨):

١. أنه صلى الله عليه وسلم كان يكثر التّطيّب ويحبّ الطيب، ولا يردّه، وكان أحبّ الطيب إليه المسك.
٢. كان يحبّ السيّوآك، وكان يستاك مفطراً وصائماً، ويستاك عند الانتباه من النوم، وعند الوضوء، وعند الصلاة وعند دخول المنزل.
٣. وكان صلى الله عليه وسلم يكتحل بالإثمد.
٤. وكان يرجل نفسه تارّة، وترجله عائشة رضي الله عنها تارّة.
٥. وكان هذّيه في حلّي رأسه: ترك شعره كله أو أخذه كله، ونهى عن القزع.
٦. وكان يلبس ما تيسر من اللباس: من الصوف تارّة، والقطن تارّة، والكتان تارّة، وكان أحبّ اللباس إليه القميص.
٧. ولبس البرود اليمانية، والبرد الأخضر، ولبس الجبة والقباء والسراويل والإزار والرداء، والخفّ والنعل والعمامة.
٨. وكان يتلّعى بالعمامة تحت الحنك، وأرخى الذّوابة من خلفه تارّة وتركها تارّة.
٩. ولبس الأسود، ولبس حلّة حمراء، والحلّة: إزار ورداء.
١٠. ولبس خاتماً من فضة، وكان يجعل فصّه مما يلي باطن كفّه.
١١. وكان إذا استجد ثوباً سمّاه باسمه، وقال: "اللّهُمَّ أَنْتَ كَسَوْتَنِي هَذَا الْقَمِيصَ أَوْ الرِّدَاءَ أَوْ الْعِمَامَةَ، أَسْأَلُكَ خَيْرَهُ وَخَيْرَ مَا صُنِعَ لَهُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهِ وَشَرِّ مَا صُنِعَ لَهُ".
١٢. وكان إذا لبس قميصاً بدأ بميامنه.
١٣. وكان يعجبه التّيمُّن في تنغّله وترجله وطهوره وأخذِهِ وَعَطَائِهِ (ج ٢، ص ١٦٧).

ثمّ التأكيد على أن مجالس العلم يجب أن تكون زينتها ملائمة بأفضل لبوس لأهل البلد الذي يقطنه، ويجتنب لباس الشهرة، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "مَنْ لَبَسَ ثَوْبَ شُهْرَةٍ فِي الدُّنْيَا أَلْبَسَهُ اللَّهُ ثَوْبَ مَذَلَّةٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ" [أحمد: ٩٢/٢]. فعلى المعلم اللبيب أن لا يرى مظهره إلا حسناً، ولا يُشم منه إلا طيباً؛ فإنّه أدعى للقبول عنه، والإقبال عليه، وإلا نفر منه قريبه وأهل مجلسه قبل طلابه، وصاراً محطاً للسخرية والتّندر والانتقاد.

• التماسك الأسري: مر في الفصل السابق أن أبا عبيدة رضي الله تعالى عنه كانت زوجته (تُحْفَقَةُ) عند رأسه في مرضه، ممّا يدل على مدى التماسك الأسري الذي كان يعيشه، وهذا التماسك الأسري هو سمة بارزة للقُدوة الذي يدعو لصالح الأسرة والعناية بها، بحيث أنه يبدأ بنفسه في ذلك، ومن المعين على التماسك الأسري التزام أحكام وآداب الإسلام في ذلك: بدءاً باختيار الزوجة الصالحة، قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "تُنَكِّحُ الْمَرْأَةَ لِأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا، وَلِحَسَنِهَا، وَلِجَمَالِهَا، وَلِدِينِهَا، فَطَافِرُ بَذَاتِ الدِّينِ تَرَبَّتْ يَدَاكَ" [البخاري: ٤٨٠٢]. ثم في حسن تربية الأولاد تربية صالحة ليكونوا ذخراً له في الدنيا والآخرة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له" [مسلم: ١٣٨٣]. وإحاطة أهله بالنصح والرعاية والمتابعة حتى لا يكون إهماله وبالأعلى عليه، قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللهُ رَعِيَّتَهُ، يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ، إِلَّا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ" [البخاري: ٦٧٣١]. وغيرها من الآداب، فمن الملاحظ على المربين في هذا العصر بعدهم النفسي والفكري والتوجيهي عن مواكبة رعاية أولادهم، وتساهلهم في المحرمات والانحرافات التي ينجحها أولادهم عبر منصات التواصل الاجتماعي وغيرها بحجة الانشغال في طلب الرزق؛ فكثرت الجنوح والتنمر والانحلال الديني والأخلاقي.

• حسن الخلق: وهي صفة المؤمن التقي النقي القدوة التي تمثلها أبو عبيدة رضي الله تعالى عنه، وهي الصفة التي تجمع كل فضيلة وتنبت كل سوء ورذيلة، وبَدَتْ تلك الصفة في جمع من الصفات من: رحمته رضي الله تعالى عنه ورفقه بالمؤمنين، وحيائه، وتواضعه، وقلة حقه، وبراءة صدره من الغوائل، وبذله للنصح، وعفوه، وصلته، وحلمه، وزهده...إلخ.

وهنا دعوة لكل مسلمٍ ومربيٍّ ومعلِّمٍ قدوة أن يتمثل تلك الصفات في نفسه ومع أهله وطلابه ومجتمعه الذي يعيش فيه؛ فإنّه متى قام المصلحون والمربّون بالدعوة الصّامته -حُسن الخلق- كان قبول الدين أدرى، وتمثّل أحكامه أسرع، وهو ما اختصّ به محمد صلى الله عليه وسلم في دعوته إلى دين الله تعالى. قال تعالى واصفاً خُلُقَ نَبِيِّهِ صلى الله عليه وسلم: (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ) [القلم: ٤]. ويقول سبحانه مخاطباً نبيّه صلى الله عليه وسلم ومُتَمَنِّئاً عليه: (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ) [آل عمران: ١٥٩]. فما معنى حُسن الخلق؟ وكيف يطبّقه المعلّم القدوة مع طلابه، والمربي المسلم الأسوة مع من هم تحت يده؟

عرّف بني عامر (د.ت) حُسن الخلق بأنّه "القواعد والمبادئ المنظمة للسلوك الإنساني التي يحددها الوحي، لتنظيم حياة الإنسان، وتحديد علاقته بالغير على نحو يحفظ الغاية من وجوده في هذا العالم على أكمل وجه" (ص ١٩٠).

وتعريفات حُسن الخلق مستفيضة سلفاً وخلفاً بما لا يتسع المجال لسردها؛ فحسبُك من القلادة ما أحاط بالعُقُق.

أما عن كيفية التطبيق لحُسن الخلق، فإنّ الباحث يضع معلّم التربية الإسلامية في مقدّمة القدوات؛ كونه مرآة وأنموذجاً يرى فيه الناشئ نفسه، ويقدّم سلوك معلّم التربية الإسلامية على سلوك والده محاكاةً مثاليّة فيما يعتقدها، وهنا تأتي خطورة المنهج الخفيّ فيما يتمثله المعلّم القدوة، فإن أساء أساء الناشئ وإن أحسن أحسن. وبالتالي فكلّ معلم مسلم قدوة في أي مقرر من المقررات المدرسية التي يقوم بتدريسها يعلم تمام العلم كيف يستطيع تفعيل أمر الدعوة إلى الله تعالى بحُسن الخلق من خلال المقرر الدراسي -مادة التربية الإسلامية- الذي يقوم بتدريسه، مع ملاحظة أن الأسلوب يختلف حسب عمر المتعلم والمرحلة الدراسية التي يمرّ بها. ومواد التربية الإسلامية في المؤسسات التعليمية يقصد بها مادة القرآن الكريم ومادة الحديث الشريف ومادة التوحيد أو العقيدة ومادة التفسير ومادة الفقه وغير ذلك. ومعلم هذه المواد يحمل لواء الدعوة إلى الله جلّ وعلا من خلال التربية والتعليم عن طريق القدوة الحسنة بالأخلاق وهي تربية صامته. فعلى معلم المواد الدينية أن يفعل درسه التعليمي في هذه المواد بشكل جذاب، ويتعدى عن القالب الجامد الذي اتخذه كثير من المعلمين في الوقت الحاضر بنقل المعلومات الدينية بشكل واحد ومتكرر عبر الإلقاء فقط، وأن يرسل من خلال تدريسه إشارات للمتعلمين تحثهم على الالتزام بهذا الدين العظيم، فالمعلم الحصيف لا يتوقف عند تلقين المتعلمين المعلومات التي يتضمنها مقرر العلوم الدينية تلقيناً جامداً منحصراً في تلك المعلومات المجردة فحسب، بحيث يقصر معلم القرآن الكريم جهده على حفظ واستظهار الآيات فقط، ويحصر معلم الحديث الشريف جهده في حفظ الحديث وأحكامه ورواياه فقط، وكذلك معلم الفقه والتفسير والتوحيد، بل يوظف كل ذلك في ترسيخ الأخلاق النبيلة، ويوجه تلاميذه من خلال كل تلك المقررات والموضوعات توجهاً إسلامياً تربوياً وسلوكياً. وعليه أن يبذل قصارى جهده في شرحه للدرس وتقديم المادة للمتعلم بشكل بسيط وبعيد عن كل تعقيد، وأن يكون أول المستخدمين للوسائل التعليمية الحديثة في ما يمكن استخدامه في شرحه للدرس التي يقوم بتدريسها، وأن يقوم بتطبيق ما يحتاج تطبيقاً عملياً أمام المتعلمين ليضمن الاستيعاب الكامل للموضوع من قبل المتعلمين كدرس الوضوء مثلاً في مادة الفقه أو الحديث، فعليه أن يقوم بالوضوء أمام المتعلمين خطوة بخطوة، وكذلك في درس التيمم ودرس الصلاة وغير ذلك من دروس تحتاج التطبيق العملي من هذه المواد ولا يكتفى بالشرح النظري فقط، وينتجز كل فرصة في دعوتهم إلى الاستقامة على دين الله جلّ وعلا وذلك من خلال المواضيع التي يدرسها من حين لآخر، ويكون مع ذلك زاهداً مبتسماً وقوراً متواضعاً كريماً عفواً...إلخ، ويكثر من استخدام وسائل الترفيه والتحفيز المادي والمعنوي، وذكر ما أعد الله جلّ وعلا للطائعين والمستقيمين على الصراط السوي والأخلاق الحسنة، مما لذلك أبلغ الأثر في نفوس المتعلمين؛ كونهم سفراء للدين في المستقبل المنظور (الظاهري، ١٤٢٥-١٤٢٦، ص ١٧٦-١٧٧). ويتّبع طريقة انتشار الإسلام يجد الفاحص البصير الحيادي أن الإسلام انتشر بالدعوة الصامته -حُسن الخلق- أكثر من انتشاره عن طريق الفتوحات بالسيف وإراقة الدماء كما يدّعي الحاقدون الذين يصمّون الإسلام بما ليس فيه.

• القوة والأمانة: وقد مرت هذه الصفة في الفصل السابق من خلال تولية أبي عبيدة رضي الله تعالى عنه لبيت المال وقيادة الجيوش وإمارة الشام والثناء عليه في ذلك، فالقوة والأمانة صفتان متلازمتان؛ إذ إن القوة دون أمانة جور، والأمانة دون قوة ضعف، ولذلك اتصف بها الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ومنهم نبي الله موسى عليه السلام، قال تعالى حكاية عن إحدى ابنتي نبي الله شعيب عليه السلام: (قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ) [القصص: ٢٦]. وبالتالي وجب على المعلمين -ورثة الأنبياء- أن يكون لديهم قوة التأهيل لمهنة التعليم، من قوة علمية ومهارة تدريسية وقدرة على ضبط الصف وحل المشكلات، ودون الميل إلى العنف المنقَر، مع عدم إغفال سلامة الحواس والبدن، وهي دعوة لفتح المجال على مصراعيه لمن أراد أن يكمل دراساته العليا من المعلمين، دون ربط ذلك بالبيروقراطية واشتراطات تقيد تقدمهم التأهيلي كشرطي الاحتياج والتفرغ، وما تقدمت الأمم وقويت إلا بالعلم، فإيا جهاز الوزارة الفاضلة أتيجوا الفرصة ولا تكونوا حجر عثرة في ذلك. أما عن الأمانة فهي تتمثل في العدل والإنصاف والموضوعية ابتداء بالنفس في مراقبة الله تعالى، وامتداداً نحو المتعلمين في طريقة الاختبارات وطرق التقييم التي أضحت عشوائية، وتقنينها وجعلها المحك الأساسي دون الميل نحو المحسوبيات، ووصولاً إلى المقررات التدريسية باستفراغ الوسع في طرحها واللجوء للتعليم النشط الذي يجعل من المتعلم فاعلاً والمعلم مشرفاً ومراقباً، مما يعزز فرصة إيجابية للمتعلم في جعله مفكراً ومنتجاً وملتزماً. وهو ما يجعل المتعلم مميزاً لما يقوله ويعمله. قال تعالى: (إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا) [الأحزاب: ٧٢].

وفي نهاية هذا الفصل فقد استنبط الباحث بعض معالم القدوة في سيرة أبي عبيدة رضي الله تعالى عنه، وحاول أن يبلورها تطبيقاً عملياً تربوياً بما يسهم في تعزيز مبدأ القدوة الصالحة لدى المعلمين -سيما معلم التربية الإسلامية- ليكونوا هداة مهتدين على علم وبصيرة، وتلك الصفات الواردة تُضمُّ إلى مجمل الصفات التي يجب أن يتمثلها المعلم القدوة، والتي ذكرت في نهاية الفصل الثاني من طيات هذا البحث. وبالمناسبة فإن الصفات التي وردت في ثنايا هذا البحث لا تعني أنه لا يوجد غيرها؛ فقد أوردت الرواحية (٢٠٠٩) في نتيجة دراستها أن تلك الصفات قد بلغت خمسة وسبعون صفة، إلا أن الباحث يرى أنها تندرج تحت صفة عظمى ألا وهي صفة (حُسن الخلق). ويبقى الدور على المعلم والمربي المسلم أن يسير في طلب الفضائل، ويجتنب الرذائل، فهو مؤاخذ بما يقول ويعمل.

وينشأ ناشئ الفتيان منا *** على ما كان عَوَّدَهُ أبوه (نجيب، ١٤٠٥-١٩٨٥، ص ١٠).

فمن أحسن أحسن مقلدوه، ومن أساء أساء متابعوه، وهي دعوة لمن يسمون ب(المشاهير) في الإعلام وعبر منصات التواصل الاجتماعي، بأن يتقوا الله تعالى في أبناء المسلمين؛ فلربما تعمل أيها المشهور عملاً يأتيك أثره غير منقوص في الدنيا قبل الآخرة، فاجعل مخافة ربك في قلبك، واترك بصمتك الإيجابية في صحيفة عملك، قال تعالى: (يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (-) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ) [الشعراء: ٨٨-٨٩]. وقال سبحانه: (وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا) [الإسراء: ١٣]. وقال جلّ وعلا: (وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا) [الكهف: ٤٩].

نتائج البحث:

وقد توصل هذا البحث إلى نتائج، ألا وهي:

١. من خلال تعريف القدوة اصطلاحاً، فإن هذا البحث توصل إلى أن القدوة هي: ذلك المعلم والمربي المسلم -أياً كان موقعه واستقامته- الذي يحتذى به في سميته وقوله وفعله حياً وميتاً، للاسترشاد به في عباداته أو معاملاته أو بهما معاً؛ فالقدوة أساسها التقليد.
٢. من خلال نشأة القدوة توصل الباحث إلى أن أول قدوة للبشرية هو آدم عليه السلام، وتلاه ابنه، ثم الغراب في كيفية التدافن. وأن تلك القدوات كان فيها جانب حسن وجانب سيء بحسب وصف فعل أولئك، مما يعني أنه لا يشترط أن تكون القدوات كلها حسنة، وأن الحيوان قد يكون أهدى من البشر في ذلك، وأن الميزان والمحك الحقيقي هو الشرع المطهر.
٣. أن القدوة الحسنة في الإسلام تعني كل من تمثل خيراً فوافقه من بعده، وأن القدوة السيئة كل من تمثل سوءاً فوافقه من بعده، ولا تخرج أقسام القدوات في مجملها عن هذين القسمين لمن أراد التوسع في التقسيم.
٤. أن للقدوة الحسنة آثار إيجابية، منها: الأجر العظيم، والثواب الجزيل. توفير الجهد التربوي عن طريق انتقال مفاهيم كثيرة انتقالاً غير مباشر بالمحاكاة والتقليد. تكون حال المربي تلك بمثابة المحفز، والمنشط لكثيرين لمحاولة الوصول إليها. الانتفاع بها بإيجاد بيئة تربوية راشدة. اكتساب المقتدي قوة نفسه مؤثرة بحسب حاله. تجعل المسلم على اتصال دائم بالخالق. تنشئ في روح الفرد العزة والكرامة ورفض الظلم والانحلال. تُنمي الفضائل والأخلاق الحميدة في نفوس الأفراد. تشحن الأفراد بالقوى ومعرفة الله. تنشئ التوازن والاعتدال في سلوك الفرد وشعوره. أنها تُبصر بالعيوب وترشد إلى الأسلوب الأمثل. قدوة المقتدي بالمقتدى به دافعا للمحبة والقبالة. وهي نتائج مشابهة لما ورد في نتائج دراسة الجهمان (١٤٢٨-١٤٢٩) من وجود آثار إيجابية متوقعة للتربية بالقدوة، ولما ورد في دراسة زهد (١٤٣١-٢٠١٠) من نتيجة في أن القدوة الحسنة تعمل على سرعة الامتثال والتطبيق لكل ما هو مفيد للمجتمع.

٥. أن للقُدوة السيئة آثار سلبية، منها: الإثم العظيم، وهو على القُدوة السيئة أشد من المقتدي. فساد المقتدي بفساد قُدوته، وقد مرّ ذكر بعض الشواهد في ذلك كفساد قوم فرعون بفساد فرعون. الركون إلى الدنيا وكثرة الانشغال بها، والتكاسل عن التربية والدعوة. التفریط في الطاعات، والتساهل والتقصير فيها. الهزلية وعدم الجدية. هدر الأوقات. كما ينتج عن القُدوة السيئة صورٌ مقيتةٌ، منها: العزوف عن تعلم العلم الشرعي. زيف الأبصار تبعاً لزيغ الأفئدة. كثرة الجدال والشقاق. التنصل من المسؤوليات. كثرة الضحك والمزاح المذموم. الانشغال بفساف الأمور بحيث تصبح حياة المقتدي هامشية. الجهل المركّب لأنّ المقتدي لا يفكر بل يترك التفكير لقُدوته وهو له إمعة، وهو ما أصاب الأمة في مقتل، وللمسلمين في الدواش عيرة؛ فهم حُشِبُ مُسَنَدَةٍ يفكر قادتهم ويجعلون من أتباعهم خطباً لنارٍ موقدة تستعر بغياب الفكر واتباع أئمة الضلال الذين ضلّوا و أضلّوا. اختلال الأمن بكلّ جوانبه: الدينية والفكرية والسياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية والأخلاقية والنفسية والغذائية؛ فإذا ذهب الأمن حلّ محلّه الفساد والفسق والانحلال والشتات. اتباع الشهوات وترك الواجبات، وذلك عند فقد القُدوات الصالحين. الضلال المُجِيق في ظلّ وجود الرؤوس الضلّال. وبالتالي فهناك علاقة بين انحراف المقتدي بانحراف القُدوة مما ينتج عنه الآثار التي وردت، وهو ما يتفق مع نتيجة دراسة القرنين (١٤٢٤-٢٠٠٤).

٦. من صفات القُدوة الحسنة والتي يجب أن يتحلّى بها المعلّم القُدوة: الإخلاص، والصدق، والتواضع، والرفق والرحمة وهما متلازمان لأن الرفق أساسه الرحمة، والعدل، والعلم الشرعي، والصبر، وهي ليست كلّ الصفات، بل هناك صفات أخرى يمكن صياغتها كما في دراسة الزواحية (٢٠٠٩) والتي بلغت خمسة وسبعون صفة، إلّا أن كل الصفات يمكن إدراجها تحت صفة حُسن الخلق.
٧. تطرّق هذا البحث إلى سيرة الصحابي القُدوة أبو عبيدة عامر بن الجراح رضي الله تعالى عنه، وذلك في نقاط متّصلة تبين معالم القُدوة التي ينبغي على كل معلم مسلم أن يتأملها ويتمثلها، كيف لا؟ وهو من يجتمع نسبه مع النبي صلى الله عليه وسلم في فهر بن مالك، كيف لا؟ وهو من برزت في سيرته صفات عظيمة من: جُهد في خدمة الإسلام، وعلم وفقه، وقوّة وأمانة، وعدل، وزهد، وتواضع، وبراءة صدر من الأحقاد، وحلم، وكل خلق حسن وُجد فيه، وعبادة، كجهاده، وصلاته، وصيامه، وتقواه، وصدقته؛ بما جعل النبي صلى الله عليه وسلم يبشره بالجنة، وبالتالي فهو قُدوة ضمن القُدوات الحسنة التي تأتي بعد القُدوة الأوّل محمد صلى الله عليه وسلم وهو ما توصلت إليه دراسة الزواحية (٢٠٠٩).
٨. أوّل من ولي بيت المال بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم هو أبو عبيدة رضي الله تعالى عنه في عهد الصديق رضي الله تعالى عنه، وهو أوّل أمير أمراء لجيوش المسلمين في الإسلام، وهو أمين هذه الأمة، وهو ممّن جمع القرآن بعد حروب الرّدة، وهو أوّل والٍ على الشام في الإسلام.
٩. أن حياته في الإسلام كان أغلبها في الجهاد في سبيل الله تعالى ففتحت على يديه أغلب مدن الشام، وقد قضى في جهاده ستة عشر عاماً، خمساً منها بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، حتى نال الشهادة بطاعون عمواس في جملة خمسة وعشرين ألفاً من جيوش المسلمين، ودفن بمنطقة غور الأردن على اختلاف في تحديد مكان قبره رضي الله تعالى عنه.

التوصيات:

- ومن التوصيات التي يمكن أن يوردها الباحث في هذا المقام:
١. ضرورة أن يفعل القائمون على جهاز وزارة التعليم مؤشرات القُدوة في تقييم المعلمين، بدلاً من التركيز على الجوانب التعليمية فقط؛ فإن الملاحظ -فيما يراه الباحث- أن المعايير في أغلبها لا توضح المؤشرات الكافية والواضحة في تقييم المعلمين في أدائهم الوظيفي، ولا تطلب الشواهد المؤثقة على ما يقومون به داخل الصفوف الدراسية؛ ولذلك ظهرت التباينات في التقييم باختلاف انطباع القائد التربوي وميوله غالباً.
 ٢. ضرورة إدراج موضوع القُدوة في المقررات الدراسية بشكل مباشر لا سيما مقررات التربية الإسلامية، وجعلها في وحدات مستقلة، وتكون ضمن بقية المقررات العلمية التي تركز على المادّيات أكثر من الجانب الروحي والسلوكي.
 ٣. ضرورة تفعيل البرامج التوعوية التربوية في جانب القُدوة الموجّهة للطلاب، وتفعيلها في لائحة السلوك الطلابي بشكل أوسع مما هو عليه الحال، فإن الملاحظ على الطلاب زيادة الانحرافات السلوكية والأخلاقية والدينية في مقابل إجراءات لا تردعهم غالباً، خاصّة أولئك الطلاب الذين ينتمون للأحياء الفقيرة في أسرٍ مفكّكة وأميّة.
 ٤. ضرورة التوسّع في تحفيز القُدوات على مستوى وزارة التعليم، حيث أن الملاحظ هو تحفيز المتميزين في المجال الأدائي الميكانيكي، مما يجعل القُدوات المميزين مهمّشين معنوياً؛ مما يؤدي إلى الإحباط الذي يقود للفشل.
 ٥. ضرورة توجيه الدعاة والمصلحين إلى مؤسسات التعليم في المدارس والجامعات، وذلك بالتنسيق مع وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد، للاستفادة من أطروحاتهم الفكرية المميّزة والجاذبة نحو شباب الأمة الذين هم في أمسّ الحاجة لمن يقودهم ويوجههم ويقوّم سلوكهم نحو وسطية إسلامية واضحة المعالم.
 ٦. ضرورة عقد الورش التدريبية داخل المدارس لرسم مواصفات المعلّم القُدوة، وجعلها خطة عمل تطويرية يتم تطبيقها ضمن الحصص الدراسية، وتقييم نتائجها في نهاية كل عام دراسي.

٧. ضرورة إتاحة الفرص بشكل مفتوح لمواصلة الدراسات العليا -الدكتوراه خاصة- من قِبَل وزارة التعليم، وإيجاد حلٍّ سريع لاشتراطات الاحتياج والتفَرُّغ: فالقوة العلمية تقود لكفاءة الإنتاج التربوي والتعليمي، وهي النقطة التي يعول عليها الباحث كثيراً في تنوير المعلمين ليكونوا قدوات في جانبي الفكر والسلوك؛ حتى يكون عملهم قائماً على علم وبصيرة، فالأمل في الوزارة معقود، والأمل في الله تعالى موجود أن يوفق الوزارة لاتخاذ ما يلزم في ذلك.
٨. يدعو الباحث كل من يشار إليه بالبنان -من رؤساء ومشاهير ومدراء ومعلمين ومربين- أن يكونوا نماذج قدوات حسنة؛ كون الأعين تحديق بهم، والآمال تنعقد عليهم، والتبعات لهم منها نصيب، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر.

أبرز المقترحات:

- ومن المقترحات التي يمكن طرحها أمام الباحثين والمهتمين بموضوع القدوة و في مجال البحث العلمي خاصة:
١. قيام الباحثين بكتابة بحث علمي عن أثر التربية بالقدوة في عصر صدر الإسلام.
 ٢. اقتراح موضوع بحث علمي بعنوان تصوّر مقترح لدور مواقع التواصل الاجتماعي في ترسيخ مبدأ القدوة الحسنة.
 ٣. يقترح الباحث موضوعاً بحثياً عن دور الأسرة المسلمة في تفعيل جانب القدوة الحسنة في تربية النشء.
 ٤. اقتراح موضوع بحثي بعنوان آثار العولمة على مبدأ القدوة الصالحة.
 ٥. ومن البحوث الميدانية التي يمكن اقتراحها واقع تمثّل معلمي التربية الإسلامية لمواصفات القدوة الحسنة في المدارس الثانوية بجدة من وجهة نظر طلابهم.
 ٦. اقتراح بحث علمي بعنوان مقارنة واقع تطبيق مبدأ القدوة في مدارس التعليم العام والمدارس الأهلية من وجهة نظر المشرفين التربويين.
 ٧. اقتراح بحث علمي بعنوان أثر تدريس مواد التربية الإسلامية في تعديل سلوك الطلاب من وجهة نظر المرشدين الطلابيين.
 ٨. اقتراح بحث ميداني بعنوان مدى فعالية برامج وزارة التعليم في تعزيز مبدأ القدوة الحسنة لدى المعلمين من وجهة نظر المعلمين في مدينة جدة.
 ٩. اقتراح بحث علمي بعنوان علاقة المؤسسات الاجتماعية الأسرة والمدرسة والمسجد في ترسيخ مبدأ القدوة الحسنة لدى الشباب المسلم.
 ١٠. اقتراح بحث بعنوان علاقة التعصّب الرياضي بانحراف مفهوم القدوة لدى المشجعين في المملكة العربية السعودية.
 ١١. اقتراح بحث بعنوان تصوّر مقترح لمواصفات القدوة المجتمعية لدى المجتمع السعودي.
 ١٢. اقتراح إنشاء منصة تربوية إلكترونية مرتبطة بوزارة التعليم؛ لتعزيز مبدأ القدوة لدى المعلم والطالب، وتكون بمسمى (سفراء الدين والوطن) ويشرف عليها رائد التوعية الإسلامية في كل مدرسة.
 ١٣. اقتراح إنشاء جائزة وزارية دولية بعنوان (إسهام المعلم المسلم في تصحيح مفهوم القدوة لدى الناشئة) عبر البحوث العلمية، والممارسات التطبيقية داخل المدرسة وخارجها، وتوضع لها اللوائح والمعايير والمؤشرات الملزمة.
 ١٤. فالمقترحات الفكرية والبحثية كثيرة، لا تنتهي بانتهاء هذا البحث، ولكنّها ومضات لتفتيق الأفكار وتحفيز الهمم، وهنا يتوقف القلم، والله هو خير مسؤول أن يغفر الزلل ويوفق لحسن القول والعمل، إنه سميع قريب مجيب، وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

المراجع:

١. ابن الأثير، علي بن محمد. أسد الغابة في معرفة الصحابة. الرياض: دار ابن حزم. بدون تاريخ.
٢. ابن باز، عبدالعزيز بن عبدالله، (١٤١٨-١٩٩٧) الدعوة إلى الله وأخلاق الدعاة. (ط٣). الرياض: رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الإدارة العامة للطبع.
٣. ابن باديس، عبد الحميد، (١٤١٢) الدرر الغالية في آداب الدعوة والداعية. الرياض: دار المنار للنشر والتوزيع.
٤. ابن حجر، أحمد بن علي، الإصابة في تمييز الصحابة. القاهرة: دار الكتب الأزهرية. بدون تاريخ.
٥. ابن القيم، محمد بن أبي بكر، (١٤١٨-١٩٩٨) زاد المعاد في هدي خير العباد. (ط٣). بيروت: مؤسسة الرسالة.
٦. ابن عبد البر، يوسف، (١٤٢٣-٢٠٠٤) الاستيعاب في معرفة الأصحاب. (ط١). عمّان: دار الإعلام.
٧. ابن عبد البر، يوسف، جامع بيان العلم وفضله. القاهرة: دار ابن الجوزي. بدون تاريخ.
٨. ابن كثير، إسماعيل، (١٤١٨-١٩٩٨) البداية والنهاية. القاهرة: هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان.
٩. ابن كثير، إسماعيل، (٢٠٠٠) تفسير القرآن العظيم. القاهرة: مؤسسة قرطبة.
١٠. ابن هشام، عبد الملك، السيرة النبوية. بيروت: دار التراث الإسلامي. بدون تاريخ.

١١. أبوداود، سليمان بن الأشعث، (١٤٠٨) سنن أبي داود، (ط١)، الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع.
١٢. أبو نمر، عاطف سالم، (٢٠٠٧-٢٠٠٨) مواصفات المعلم القدوة في ضوء التربية الإسلامية ومدى تمثيلها لدى أعضاء هيئة التدريس في كليات التربية من وجهة نظر طلبتهم، رسالة ماجستير، قسم أصول التربية، الجامعة الإسلامية: غزة.
١٣. البخاري، محمد بن إسماعيل، (١٤٠٦-١٩٨٦) التاريخ الصغير، (ط١)، بيروت: دار المعرفة.
١٤. البخاري، محمد بن إسماعيل، (١٤٠٠) الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، القاهرة: المطبعة السلفية ومكتبتها.
١٥. بني عامر، محمد أمين، أساليب الدعوة والإرشاد، أريد: مركز كناري للخدمات الطلابية، بدون تاريخ.
١٦. الترمذي، محمد بن عيسى، (١٩٨٣) الجامع الصحيح سنن الترمذي، بيروت: دار إحياء التراث العربي.
١٧. التكروني، نسيم عبد الهادي، (١٤٣٢-٢٠١٢) إسهام المرشد الطلابي في تنمية شخصية تلميذ المرحلة الابتدائية من منظور التربية الإسلامية، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة أم القرى: مكة المكرمة.
١٨. الجهيمان، شذا محمد، (١٤٢٨-١٤٢٩) أهمية التربية بالقُدوة كما تراها معلمات العلوم الشرعية بالمرحلة المتوسطة في مدينة الرياض دراسة ميدانية، رسالة ماجستير، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية: الرياض.
١٩. الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد، (١٤١٧) سير أعلام النبلاء، بيروت: مؤسسة الرسالة.
٢٠. الرّواحية، صفاء ناصر سليمان، (٢٠٠٩) صفات الشخصية المسلمة القدوة ونماذجها في كتب التربية الإسلامية للصفوف (٥-١٠)، بسلطنة عُمان، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة السلطان قابوس: مسقط.
٢١. السمعاني، عبد الكريم بن محمد، (١٤٠١-١٩٨١)، أدب الإملاء والاستملاء، بيروت: دار الكتب العلمية.
٢٢. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، (١٤٢٤-٢٠٠٣) تاريخ الخلفاء، بيروت: دار ابن حزم.
٢٣. الشنقيطي، محمد الأمين، (١٩٨٠) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، (ط٢)، المدينة المنورة: طباعة الشيخ محمد بن لادن.
٢٤. الشيباني، أحمد بن حنبل، (١٤١٦-١٩٩٥) مسند الإمام أحمد بن حنبل، بيروت: مؤسسة الرسالة.
٢٥. الظاهري، إبراهيم هاني، (١٤٢٥-١٤٢٦) مسؤولية المعلم في الدعوة إلى الله، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة أم القرى: مكة المكرمة.
٢٦. القرني، محمد مسفر، (١٤٢٤-٢٠٠٤) أثر انحراف القدوة على السلوك الانحرافي لدى المراهقات دراسة وصفية على طالبات المرحلة المتوسطة بمدينة مكة المكرمة، الرياض: كلية الملك فهد الأمنية.
٢٧. النيسابوري، مسلم بن الحجاج، (١٤١٩-١٩٩٨) صحيح مسلم، عمان: بيت الأفكار الدولية.
٢٨. الواحدي، علي بن أحمد، (١٤١٢-١٩٩٢) أسباب النزول، (ط٢)، الدمام: دار الإصلاح.
٢٩. زهد، عصام العبد، (١٤٣١-٢٠١٠) القدوة الصالحة وأثرها على الفرد والمجتمع، اللقاء الدعوي الأول، كلية الدعوة وأصول الدين، الجامعة الإسلامية: المدينة المنورة.
٣٠. شراب، محمد حسن، (١٤١٨-١٩٩٨) أبو عبيدة عامر بن الجراح أمين الأمة وفتح الديار الشامية، (ط١)، دمشق: دار القلم.
٣١. عبيدات، ذوقان؛ وعبدالحق، كايد؛ وعدس، عبد الرحمن، (٢٠٠٥) البحث العلمي مفهومه أدواته أساليبه، الرياض: دار أسامة للنشر والتوزيع.
٣٢. نجيب، أحمد قبش، (١٤٠٥-١٩٨٥) مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي، الرياض: دار الرشد.
٣٣. يوسف، يوسف الأمين، (٢٠٠٧) المنهج التربوي القدوة دراسة وصفية، جامعة إفريقيا العالمية: الخرطوم.

Education by Good Example: Abu Ubaida Bin Jarrah Model

Naser Mohammad Naser Al- Shamrani

Ministry of Education - Kingdom of Saudi Arabia
 Bareed123bareed@gmail.com

Abstract: The present study aimed to identify the concept of the role model in Islam, and to uncover the role models in the biography of Abu Ubaida ibn al-Jarrah, may Allah be pleased with him, and reach the practices of educational application enlightened by the teacher through the examples of example in the biography of Abu Ubaida bin Jarrah may Allah be pleased with him. The researcher used the descriptive approach in his analytical style. The study showed the following results

- [1] The role models are: that the teacher and educator Muslim -oaa his position and role model who Astqamth- called in and said and done alive and dead, for guidance..
- [2] is not required to be role models are all good, and that the animal may be a gifted human beings in it, and that the balance of the real and the stake is Shara cleanser..
- [3] To set a good example in Islam means both represent good Vuagah after him, and bad role models both represent Vuagah after him worse, not role models out sections in their entirety for these two sections.
- [4] be role models for good positive effects, including: a great reward, and great reward. Providing educational effort. Utilization of finding an adult educational environment. Almguetda gain psychological influential force, according to the same. Makes a Muslim in constant contact Balkhalq. tnumei virtues and morality in the hearts of individuals. Establish balance and moderation in the individual's behavior and feelings. They see defects and to guide the optimal method.
- [5] be bad role models negative effects, including: the great sin, it is a bad role model most of Almguetda. Almguetda corruption, the corruption of his example, has passed said some evidence in that Kivsad the corruption of the people of Pharaoh Pharaoh. To rely on the world and the frequent preoccupation, and lazing about education and advocacy. Compromising the good deeds, and indulgence and negligence in them. Comics and lack of seriousness. Waste of time..
- [6] qualities of a good example for the teacher role models: Sincerity, honesty, humility, kindness, compassion, justice, and forensic science, and patience.
- [7] emerged in the biography of Abu Obeida great recipes including: the service of Islam, and science and jurisprudence, the strength and the Secretariat, and justice, and temperance, and humility, and the patent was issued from the hatchet, and a dream, and all create Hassan found it, and worship: Kjhadh, and his prayers, and fasting and piety and charity. .
- [8] derived from the biography of Abu Ubaida, may Allah be pleased with him: recipes teacher role models in the field of worship, including: the call to God Almighty / Immigration religion / Jihad / dissemination of science and his / piety / prayer / fasting / charity. And also his qualities in the field of transactions, including: the board of the teacher / family cohesion / good manners / strength and the Secretariat

Keywords: Role models, Abu Obaida Amer Bin Jarrah, Education.

References:

- [1] 'bydat. Dh̄wqan & W'bdalhq. Kayd; W'ds. 'bd Alr̄hmn, Alb̄h̄th Al'Imy Mfhw̄mh Ādw̄ath Ās̄alybh. Alr̄yad: Dar Āsamh Llnsh̄r W̄altzy', (2005)
- [2] Ābn 'bd Albr. Ywsf, Ālasy'ab Fy M'rff Ālāsh̄ab.(T1). 'm̄an: Dar Ālā'lam, (1423-2004).

- [3] Abn 'bd Albr. Ywsf. Jam' Byan Al'lm Wfdllh. Alqahrh: Dar Abn Aljwzy. Bdwn Tarykh.
- [4] Abn Alathyr. 'ly Bn Mhmd. Asd Alghabh Fy M'rfi Alshabh. Alryad: Dar Abn Hzm. Bdwn Tarykh.
- [5] Abn Alqym. Mhmd Bn Aby Bkr. Zad Alm'ad Fy Hdy Khyr Al'bad.(T3).Byrwt: Mwssit Alrsalh, (1418-1998).
- [6] Abn Baz. 'bdal'zyz Bn 'bdallh, Ald'wh Aly Allh Wakhlaq Ald'a. (T3).Alryad: Ryast Adart Albhwth Al'imyh Walafta', Aladarh Al'amh Ltib', (1418-1997)
- [7] Abn Badys. 'bdalhmyd, Aldrr Alghalyh Fy Adab Ald'wh Walda'yh. Alryad: Dar Almnar Llnshr Waltwzy', (1412)
- [8] Abn Hjr. Ahmd Bn 'ly. Alashabh Fy Tmyyz Alshabh. Alqahrh: Dar Alktb Alazhryt. Bdwn Tarykh.
- [9] Abn Hsham. 'bdalmlk. Alsyrh Alnbwyh. Byrwt: Dar Altrath Alaslamy. Bdwn Tarykh.
- [10] Abn Kthyr. ASma'yl. Albdayh Walnhayh. Alqahrh: Hjr Ltba'h Walnshr Waltwzy' Wala'lan, (1418-1998)
- [11] Abn Kthyr. ASma'yl, Tfsyr Alqrân Al'zym. Alqahrh: Mwssit Qrtbh, (2000).
- [12] Abwdawd. Slyman Bn Alash'th, Snn Aby Dawd.(T1).Alryad: Mktbt Alm'arf Llnshr Waltwzy', (1408).
- [13] Abw Nmr. 'atf Salm, Mwasfat Alm'lm Alqdwh Fy Dw' Altrbyh Alaslamyh Wmdy Tmthlha Ldy A'da' Hyyt Aldrys Fy Klyat Altrbyh Mn Wjht Nqr Tlbthm. Rslit Majstyr. Qsm Aswl altrbyh, aljam'h alaslamyh: ghzi, (2007-2008).
- [14] Albkhar. Mhmd Bn ASma'yl, Altarykh Alsghyr.(T1)Byrwt: Dar Alm'rfh, (1406-1986)
- [15] Albkhar. Mhmd Bn ASma'yl, Aljam' Alshyh Almsnd Mn Hdyth Rswl Allh Sly Allh 'lyh Wslm Wsnnh Wayamh. Alqahrh: Almtb'h Alslyfih Wmktbha, (1400)
- [16] Aldhhby. Shms Aldyn Mhmd Bn Ahmd, Syr A'lam Alnbla'. Byrwt: Mwssit Alrsalh, (1417)
- [17] Aljhyman. Shdha Mhmd, Ahmyt Altrbyh Balqdwh Kma Traha M'lmah Al'lwmm Alshr'yh Balmrhlh Almtwsth Fy Mdynit Alryad Drash Mydanyh. Rslit Majstyr. Klyt Al'lwmm Alajtmah'yh, Jam't Alajmam Mhmd Bn S'wd Alaslamyh: Alryad, (1428-1429)
- [18] Alnysabwry. mslm bn alhajj, shyh mslm. 'man: byt alafkar aldwyh, (1419-1998)
- [19] Alqrny. Mhmd Msfr, Athr Anhrat Alqdwh 'ly Alsolk Alanhraty Ldy Almrhaqt Drash Wsfyh 'ly Talbat Almrhlh Almtwsth Bmdynh Mkh Almkrmh. Alryad: Klyt Almlk Fhd Alamnyh, (1424-2004)
- [20] Alrawayh. Sfa' Nasr Slyman, Sfat Alshkshyh Almslmh Alqdwh Wnmadhjha Fy Ktb Altrbyh Alaslamyh Llshfwf(5-10)Bslnit 'uman. Rslit Majstyr .Klyt Altrbyh, Jam't Alsltan Qabws: Msqt, (2009)
- [21] Alsm'any. 'bdalkrym Bn Mhmd, Adb Alajmla' Walastmla'. Byrwt: Dar Alktb Al'lm'lyh, (1401-1981)
- [22] Alshnqyty. Mhmd Alamyn, Adwa' Albyan Fy Aydah Alqrân Balqrân.(T2).Almdynh Almnwrh: Tba't Alshykh Mhmd Bn Ladn, (1980)
- [23] Alshybany. Ahmd Bn Hnbl, Msnd Alajmam Ahmd Bn Hnbl. Byrwt: Mwssit Alrsalh, (1416-1995)
- [24] Alsyt. Jalal Aldyn 'bdalrhmn, Tarykh Alkhifa'. Byrwt: Dar Abn Hzm, (1424-2003)

- [25] Altkrwny. Nsym 'bdalhady, ASham Almrshd Altaby Fy Tnmyt Shkhsyt Tlmydh Almrhlh Alabtdayyh Mn Mnzwr Altrbyh Alaslamyh. Rsalt Majstyr. Klyt Altrbyh, Jam't Am Alqra: Mkh Almkrmh, (1432-2012)
- [26] Altrmdhy. Mhmd Bn 'ysy, Aljam' Alshyh Snn Altrmdhy. Byrwt: Dar AHya' Altrath Al'rby, (1983)
- [27] Alwahdy. 'ly Bn Ahmd, Asbab Alnzwl.(T2).Almam: Dar Alaslah, (1412-1992)
- [28] Alzahry. ABrahym Hany, Mswwlyt Alm'lm Fy Ald'wh ALy Allh. Rsalt Majstyr Ghyr Mnshwrh. Klyt Altrbyh, Jam't Am Alqra: Mkh Almkrmh, (1425-1426)
- [29] Bny 'amr. Mhmd Amyn, Asalyb Ald'wh Walashad. Arbd: Mrkz Knary Likhdmāt Altabyh. Bdwn Tarykh.
- [30] Njyb. Ahmd Qbsh, Mjm' Alhkm Walamthal Fy Alsh'r Al'rby. Alryad: Dar Alrshd, (1405-1985)
- [31] Shrab. Mhmd Hsn, Abw 'bydh 'amr Bn Aljrah Amyn Alamh Wfath Aldyar Alshamyh.(T1).Dmshq: Dar Alqlm, (1418-1998)
- [32] Ywsf. Ywsf Alamyn, Almnhy Altrbwy Alqdwh Drash Wsfyh. Jam't AFryqya Al'almyh: Alkhrtwm, (2007)
- [33] Zhd. 'sam Al'bd, Alqdwh Alsalhh Wathrha 'ly Alfrd Walmjtm'. Allqa' Ald'wy Alawl. Klyt Ald'wh Wawwl Aldyn, Aljam'h Alaslamyh: Almdynh Almnwrh, (1431-2010)